مجلة جامعة حمص

سلسلة العلوم التاريخية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 47 . العدد 2

1447 هـ - 2025 م

الأستاذ الدكتور طارق حسام الدين رئيس جامعة حمص **المدير المسؤول عن المجلة**

أ. د. وليد حمادة	**رئيس تحرير مجلة جامعة حمص للعلوم الإنسانية**
د.نعيمة عجيب	**رئيس تحرير مجلة جامعة حمص للعلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية**

د.محمد فراس رمضان	عضو هيئة التحرير
د. مضر سعود	عضو هيئة التحرير
د. ممدوح عبارة	عضو هيئة التحرير
د. موفق تلاوي	عضو هيئة التحرير
د. طلال رزوق	عضو هيئة التحرير
د. أحمد الجاعور	عضو هيئة التحرير
د. الياس خلف	عضو هيئة التحرير
د. روعة الفقس	عضو هيئة التحرير
د. محمد الجاسم	عضو هيئة التحرير
د. خليل الحسن	عضو هيئة التحرير
د. هيثم حسن	عضو هيئة التحرير
د. أحمد حاج موسى	عضو هيئة التحرير

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة حمص

سورية . حمص . جامعة حمص . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.homs-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : journal.homs-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

شروط النشر في مجلة جامعة حمص

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (الآداب – الاقتصاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

ـ كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي ـ العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشر في المجلة يدل ضمناً على عدم نشره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة ـ الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة ـ سنة النشر ـ وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة ـ دار النشر وتتبعها فاصلة ـ الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

ـــ بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة ـــ المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة ـــ أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة حمص

1. **دفع رسم نشر (50000) ل.س أربعون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.**
2. **دفع رسم نشر (200000) ل.س مئة الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .**
3. **دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .**
4. **دفع مبلغ (15000) ل.س ستة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.**

المحتـوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
المَدْرَسَتين الدينية والبيوغرافية الأوربيتين في فلسفة (تفسير) التاريخ ق.12-14هـ/18-20م	د. فراس نجيب عبد الرحمن	28-11
إضاءات على تـاريـخ المعتزلة	علي موسى طالب	64-29
الجهشياري والمادة المصدرية التي اعتمدها في مؤلفه الوزراء والكتاب	ميساء القيس د.سلمان شحاده	94-65
علم البيزة نشأته ودوافع الاهتمام به والآثار المترتبة عليه خلال الفترة مابين(358-923ه/969-1517م)	أسماء الحجر	142-95
علي رضا لركابي ودوره السياسي والعسكري في المشرق العربي (1864-1942م)	أ.د.م رامي الضلي أ.د.م إبراهيم علاء الدين	168-143

المَدْرَسَتين الدينية والبيوغرافية الأوربيتين في فلسفة (تفسير) التاريخ

ق.12-14هـ/18-20م

الباحث: فراس نجيب عبد الرحمن، دكتوراه في تاريخ العرب والإسلام، باحث مستقل

- **مقدمة:**
- **أولاً- فلسفة التاريخ.**
- **ثانياً- المدرسة الدينية.**
- **ثالثاً- المدرسة البيوغرافية (سير الأشخاص والتراجم).**
- **خاتمة.**
- **قائمة المصادر والمراجع.**

مقدمـــة:

يشـغل التـاريخ مكانـاً رفيعـاً بـين فـروع المعرفـة الإنسـانية سـواءً فـي الشـرق أو الغـرب، ولا زالـت المؤلفـات التاريخيـة تأخـذ جانبـاً ضـخماً ممـا ينشـر كـل عـام، وربمـا زاد الاهتمـام بهـا أكثـر فـي الوقـت الحاضـر، ومـع ذلـك فمـا زالـت حقيقـة التـاريخ وطبيعتـه وحركته موضع خلاف ونقاش بين المؤرخين والفلاسفة والمفكرين عامة.

عنـدما يتأمـل الإنسـان ماضـيه وماضـي الحضـارات الإنسـانية وتبـدلها، يـدرك أن هنـاك دوافـع عديـدة تحـرك التـاريخ وتسـيره، لكـن أيـن هـذه الـدوافع؟ . وكيـف تعمـل؟ . ومـا مدى تأثيرها؟. وهل لكل من هذه الدوافع التأثير نفسه في حركة التاريخ؟.

لقد حاول الإنسان ومنذ القديم البحث عن ذلك وتفسير الشيء الغامض في حركة التاريخ، حاول معرفة المحور الذي تدور حوله عملية التاريخ، وتفسير الدوافع والحوافز لهذه الحركة.

فخرج الإنسان في نظريات وتفسيرات عديدة للتاريخ تتناسب مع واقعه الحضاري فلكل جيل نظرته للتاريخ يمليها عليه واقعه وظروفه الخاصة.

لاشك أن قلق الإنسان على مستقبله ورغبته في تطوير واقعه دفع الباحثين والمفكرين إلى التفكير في الوسائل التي يمكن عن طريقها إزالة مثل هذا القلق ، وضمان حياة أقل صعوبة من الحياة الحاضرة ، فكان لابد من النظر إلى الماضي وتحليله وتفسيره ومن هنا ظهرت نظريات ومدارس عدة لتفسير التاريخ، ومن هذه الفكرة تأتي **إشكالية البحث**.

اقتصر البحث على دراسة وتفصيل مدرستين اثنتين فقط من مدارس فلسفة التاريخ الحديثة (الدينية والبيوغرافية) التي ظهرت في الغرب الأوربي بين القرنين 12-14هـ/ 18-20 م

أهمية البحث: لتلك المدرستين أهمية خاصة في تفسير التاريخ، إذ أنها توضح الجوانب الخفية في التاريخ وتحلله تحليلاً علمياً، مما يساعدنا على دراسته وفهمه، كما تُعدان أقدم وأهم المدارس في تفسير التاريخ.

منهجية البحث: الدراسة لم تتعرض إلى النقاط التفصيلية للمدرستين، فذلك مطلب يطول، وربما هو من مهمة الفلاسفة، وما يهمنا هو النظرة الشاملة للتاريخ، ونظرة تلك المدرستين للتاريخ وكيف فسرتاه.

واستهل البحث بتفسير موجز لفلسفة التاريخ موضحاً أنها ليست علم مستقل بذاته وإنما هي رديف للتاريخ.

وتم ايراد تعريفاً لأهم رواد المدرستين، وبين أهم الانتقادات التي وجهت لكلا المدرستين، معتمداً في بحثي على ما توفر لي من مصادر ومراجع.

متمنياً أن يوفقني الله في بحثي هذا وينفعنا به.

أولاً– فلسفة التاريخ:

مصطلح فلسفة التاريخ له جاذبية كبيرة على العقول، حتى يعتقد الإنسان أن هناك علماً قائماً بذاته، أو فرعاً من فروع الدراسة التاريخية يسمى ((فلسفة التاريخ))، وذلك غير صحيح.

فلا وجود في الحقيقة لفرع من فروع المعرفة الإنسانية أو الدراسة التاريخية يسمى فلسفة التاريخ، لأن تعليل الحوادث ومحاولة البحث عن أسبابها والاجتهاد في استخراج الأسباب والأحكام العامة، كل هذه تدخل في صميم الدراسة التاريخية نفسها، ولا علاقة لها بالفلسفة. [1] وإنما تعد مهمة حقيقية للباحث عند كتابته البحث.

وبعبارة أخرى؛ لا يمكن أن نبحث في التاريخ دون فلسفة، ومصطلح فلسفة التاريخ قديم يرجع عند البعض إلى القديس أوجسطين (أوغسطين[2]) (354–435م)، وربما أقدم من ذلك.

[1] مؤنس، حسين : التاريخ والمؤرخون، دار المعارف، القاهرة، 1984، ص:40.

[2] ولد بتجستي في شمال إفريقية، شب على وثنية أبيه ثم اعتنق المسيحية ودافع عنها دفاعاً شديداً، مماجعله في العالم المسيحي بمنزلة الإمام. وأشهر كتبه اعترافات ومدينة الله (الموسوعة العربية الميَسَرة، إشراف: محمد شفيق غربال ، دار الشعب،القاهرة، د.ت،ص:226)

لكن هذا المصطلح عُرف كموضوع مستقل ولأول مرة في القرن الثامن عشر على يد مفكري عصر الاستنارة، فمن يقول أنه يرجع إلى فيكو الإيطالي (1668-1774)[3] وعند البعض الآخر إلى فولتير.[4]

فولتير كان يقصد بفلسفة التاريخ دراسة التاريخ من وجهة نظر الفيلسوف أي: دراسة عقلية ناقدة ترفض الخرافات. وتنقح التاريخ من الأساطير والمبالغات.

وعرفها الفيلسوف الألماني هيغل[5]: (أشهر فلاسفة القرن التاسع عشر) على أن فلسفة التاريخ هي دراسة التاريخ من خلال الفكر، مانحاً بذلك فلسفة التاريخ بعداً تأملياً مجرداً. [6]

والحق أن فلسفة التاريخ بمعنى البحث عن العلل والأسباب، أقدم من القرن الثامن عشر وعصر الاستنارة الأوروبية، فقد أشار إلى ذلك دون أن يستخدم المصطلح نفسه ابن الأثير في كتابه ((الكامل في التاريخ)) في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، وأهم من ذلك ابن خلدون في ((مقدمته)) في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، فقد تنبها إلى ضرورة التعليل والتفسير، فميز ابن خلدون بين الظاهر والباطن في التاريخ بقوله:

---

[3] الدسوقي، عاصم: البحث في التاريخ، مكتبة القدسي، أسيوط،د.ت، ص96.

[4] فولتير (1694-1778) فيلسوف ديني وأديب ساخر ومؤرخ فرنسي، من أبرز رجال حركة التنوير، ناضل ضد الحكم الاستبدادي والكاثوليكية، (المعجم الفلسفي المختصر، ترجمة: توفيق سلوم، دار التقدم، ط:4،موسكو، 1986، ص:576).

[5] هو جورج فيلهلم فريدريش هيغل ، ولد عام 1770م في شتوتغارت في المنطقة الجنوبية الغربية من ألمانيا، وأصبح من كبار فلاسفتها، وتوفي 1831م. كارل روزنكرنز، *حياة هيغل*، دنكر وهمبلت، 1844، صفحة 19.

[6] النجار، جميل موسى: دراسات في فلسفة التاريخ النقدية، بغداد، ط:1، 2004، ص:192.

"في ظاهره لا يزيد عن أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق" [7] ووصفه ابن خلدون بالحكمة والعراقة، كما انتقد ابن خلدون فحول المؤرخين في الإسلام الدين استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها في صفحات الكتب دون أن ينظروا بأمرها ويلاحظوا أسبابها ويراعوا أحوالها.

لكن وللأسف فابن خلدون وابن الأثير كانا ظاهرتين فرديتين وفريدتين لم يقتفي أثرهما أحد من العرب لكي يطوروا ما بدأه كل منهما. [8]

ربما الأوضاع التي مرت بها البلاد العربية والإسلامية من تناحر مذهبي وسياسي ومن ثم الخضوع للاستعمار والسيطرة الأجنبية، لم تساعد على ذلك.

إن الفرق بين طبيعة علم التاريخ، وطبيعة مباحث الفلسفة جسيم، فالفيلسوف فيلسوف بالطبع أو الاتجاه وأسلوب الفكر وطريقة النظر والاستدلال، والمؤرخ مؤرخ بطريقته ومنهجه والغايات التي يرمي إليها من وراء ما يكتب في التاريخ، ولهذا فإن كبار ما نسميهم فلاسفة التاريخ كانوا يرون أنفسهم مؤرخين فحسب، فأرنولد توينبي[9] الذي يعد أكبر فلاسفة عصره، كان يسمي نفسه مؤرخاً.

ولا مانع للمؤرخ من التفلسف إذا شاء، شرط أن يستوفي شروط الدراسة التاريخية في ما يكتب أولاً، ثم يتفلسف إذا شاء، وفلسفته هذه لا تسلكه قط في زمرة الفلاسفة. [10]

---

[7] ابن خلدون، عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، تح: خليل شحادة، دار الفكر، ط:1،د.ت، ص:6.

[8] الدسوقي: البحث في التاريخ، ص:98.

[9] وُلِد أرنولد تُوينبي في لندن، عام 1889، ودرَس في أكسفورد، وتقلَّب في عدَّة مواقع ومهام علمية، وشُهر بدراسة التاريخ والحضارات، ، إلى أن تُوفِّيَ في عام 1975 .خوري، منَح: التاريخ الحضاريّ عند تُوينبي، بيروت، دار العلم للملايين،1960.

[10] مؤنس، التاريخ والمؤرخون، ص: 41.

ونستطيع القول، أنه لا يوجد بالفعل علم أو فن يسمى فلسفة التاريخ، فحقاً هناك مؤرخين لهم نظرات بالغة العمق في الحكمة وآراء عامة في الغاية من الصدق والسداد، ولكن ذلك لا يخرجهم من نطاق التاريخ.

ثانياً- مدرسة التفسير الديني للتاريخ:

تشير هذه النظرية إلى أن التاريخ مسرحاً لتحقيق إرادة الله على الأرض، وهذا يعني أن للإله تدخل فعلي في تسيير حياة الناس، وأن الله لم يخلق العالم سدى وإنما خلقه لغاية، وبالتالي فإنه حريص على تسيير العالم في مسيرته التاريخية نحو الغاية التي وضعها الله، وأن منطق الأحداث مهما كان ينتهي دائماً إلى الغاية التي خططها الله تعالى للعالم.

هذه النظرة الدينية ظهرت عند العديد من المؤرخين، خاصة في القرون الوسطى. [11]

ويرى المؤرخون أن التاريخ البشري لم يعرف فترة لم يكن فيها الدين مؤثراً تأثيراً إيجابياً في حياة الإنسان، وأنه أول المسائل الأساسية في الأزمان الغابرة والحاضرة، وأن الآلهة لعبت أكبر دور في الحياة الإنسانية، وأن الدين أسرع مؤثر في الأخلاق، لا يدانيه مؤثر، اللهم إلا الحب.

حيث يقول غوستاف لوبون "مَثَّل سريان المعتقد في اللاشعور- بفعل العدوى النفسية والتلقين والنفوذ....- دوراً في حياة الشعوب أعلى من الدور الذي مثله العقل فيها"، كما أنه يرى أن تاريخ الأمم مؤلف من تاريخ آلهتها و "لا يكون من المبالغة أن يقال إن معظم تاريخ الأمم مؤلف من تاريخ آلهتها" حياة كل أمة تخضع لتدخل الآلهة

[11] يزبك، قاسم : التاريخ ومنهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني ، ط:1، بيروت، 1990، ص39.

الدائم. [12] والسبب في قوة الدين العظيمة كونه العامل الوحيد الذي تتوحد به في وقت ما منافع الأمة ومشاعرها وأفكارها، فيقوم المبدأ الديني بذلك دفعة واحدة مقام غيره من العناصر التي تتكون منها روح الأمة. [13]

ويرى أوغسطين أن الأحداث التاريخية ليست سوى بنت الإرادة الإلهية، وأن العناية الإلهية تلعب دورها في الأحداث التاريخية، وبناء على ذلك يرفض الفيلسوف برتراندراسل فكرة التنبؤ الكامل بأحداث التاريخ، ويضرب مثلاً على ذلك بقوله هل كان أحد من المؤرخين القدامى يتوقع اكتشاف القارة الأمريكية مثلاً، وما تلا ذلك من تطورات، وكما أن المستقبل قد يخبئ لنا الكثير، إذاً فلابد أن يكون هناك قوى لا نراها تلعب دورها وتحرك مسار التاريخ فيها.

ومن أقطاب هذه المدرسة أيضاً المؤرخ سالفيا نوس الذي فسر سقوط روما على أنه غضب وانتقام من الله، لأن عباده الرومان المسيحيين ضلوا عن سبيله. [14]

ويعترف المؤرخ البريطاني هـ.ج. ويلز بدور الدين في التاريخ ويرى أن بدايات الحضارة وظهور المعابد شيئان متلازمان متآنيان على مر التاريخ وأن الأمران يسيران جنباً إلى جنب.

ويرد توينبي الحضارات إلى الأديان، ذلك أن الامبراطوريات ليست هي مقياس الحضارة، بل على العكس أنها تمثل بداية مرحلة انهيار الحضارة.[15] ويرى أنه وراء

---

[12] لوبون، غوستاف: فلسفة التاريخ، تر: عادل زعيتر، دار المعارف ، مصر، 1954، ص:132-133.

[13] الشرقاوي، محمود: التفسير الديني للتاريخ، كتاب الشعب، ط:1، ص:125.

[14] ياغي، اسماعيل محمد أحمد: مصادر التاريخ الحديث ومناهج البحث فيه، مكتبة العبيكان، الرياض، 1999، ص:200-202.

[15] الشرقاوي: التفسير الديني، جـ:1، ص:125.

كل حضارة من الحضارات القائمة اليوم ديانة عالمية، فالعقائد الدينية هي التي تُسيّر مجرى التاريخ، وأنه إذا كان هناك مستقبل لحضارة ما من الحضارات القائمة حالياً فذلك في حدود هذه الأديان وبسبب منها. (16)

يرى أرنولد توينبي أن الصراع كان قائماً في الماضي بين الدين والفلسفة، أما الصراع الحالي فبين الدين والعلم، وعلى الدين أن يسلم للعلم جميع المجالات التي هي من اختصاصه، على أن ذلك لا يعني إمكان الاستغناء عن الدين بالعلم، فإن انتصار العلم على الدين انتصاراً ساحقاً يشكل كارثة على الدين والعلم معاً، وأن أخطر كارثة يواجهها العالم اليوم أن الجماهير – خصوصاً الغربية – قد استعاضت عن الفراغ الديني بأيديولوجيات لا تفترق عن الأديان البدائية من حيث وثنيتها، من حيث عبادة الذات، وإن تسترت تحت ستار القومية أو الاشتراكية متمثلة في تأليه الدولة أو الحاكم. (17)

ويرى غوستاف لوبون، أن الدور الذي يمثله الآلهة في التاريخ بلغ من القوة مالم تستطيع أمة أن تغيره من غير أن ترى حياتها تتحول تحولاً تاماً، ويضرب على ذلك مثلاً القبائل العربية البدوية قبل الإسلام والتي توحدت بالدين الجديد بقيادة محمد ﷺ، فلم تلبث أن بلغت من القوة ما أقامت معه إمبراطورية عظيمة. (18)

(16) صبحي، أحمد محمود: في فلسفة التاريخ، الجامعية الليبية، مكتبة القضمان، دمشق، ص:266.

(17) الشرقاوي: التفسير الديني، جـ:1، ص:125-127.

(18) لوبون: فلسفة التاريخ، ص:135.

كما يؤكد لوبون على أثر الدين في شعوب مصر القديمة وغيرها من الشعوب الشرقية ، وأنه دخل في جميع أعمال حياتهم العامة والخاصة، فنجدها حتى في الكتابات التافهة. [19] لذلك يستنكر وجود أمة مجردة من معتقدات دينية، ويرى أن العالم لم يعرف أمة من هذا النوع بعد، وأنه لن تكون مثل هذه الأمة، ((فالاحتياجُ الوجدي إلى دينٍ موجِّهٍ مُثبِّت أمر لا تبديلَ له"، وأن التقبل الديني لم ينقص نقصاً محسوساً في غضون القرون على الرغم من بعض الظواهر. [20]

فالذين يعدون الأديان سرطانات مخطئون، فإن السرطان الحقيقي هو أن تحل الحضارات أو الأيديولوجيات السياسية محل الأديان، لا أن تحل الأديان محل الأيديولوجيات.

لقد تعرض مفهوم العناية الإلهية في تفسير التاريخ للنقد من جانب رجال الكنيسة الأوربية ، ومن الفلاسفة بطبيعة الحال، فقد قال الأب دارسي أنه لن يكون مجدياً لو أن الباحث في التاريخ أجاب على كل سؤال يتعلق بالتاريخ بقوله : "إن يد الله كانت وراء ما حدث".

إذ يجب البحث عن الأسباب أولاً، ولا يعني هذا إغفال يد الله، وقد سبقه بوليبيوس إلى هذا بقوله: حينما يكون من الممكن إيجاد سبب لما يحدث، فلا ينبغي للمرء أن يلجأ إلى الآلهة إذ لا يصح أن يكون الدين أشبه بالجوكر في لعبة الورق.

وهناك من قال بأن هناك انفصال كامل بين التاريخ الإلهي والتاريخ الدنيوي، وأن التاريخ الدنيوي من مهمة العلمانيين، إلا أن فولتير انتقد هذا المفهوم جدلياً واستبعده كأساس لتحديد مسار التاريخ، وعارض فكرة امتحان الإنسان بالخير والشر، وانتهى إلى القول بأن الله خلق العالم وفقاً لقوانين ثابتة لا علاقة لها بأفعال الإنسان من خير أو شر، وأن الله منح الإنسان العقل ومن ثم فإن التاريخ يسير بمقتضاه نحو الأفضل والأحسن.[21]

---

[19] الشرقاوي: التفسير الديني، ص:128.

[20] لوبون: فلسفة التاريخ، ص:136.

[21] الدسوقي: البحث في التاريخ، ص:110-111.

ويعترف بوسويه [22] بأن هناك أسباب ربانية ومسببات إنسانية للأحداث التاريخية، ولكن يؤكد على وجوب البحث عن الأسباب الخاصة للحوادث والبواعث التي جعلها الله سبباً لرفعه أمة أو سحقها. [23]

ويعني هذا التفسير أن حركة التاريخ تقوم على معتقدات دينية اعتنقها الإنسان منذ القدم ولعبت دورا بارزا في تقدم الإنسان وبناء حضارته، فالحضارة الفرعونية كانت تقوم على معتقدات دينية، والفكر الصهيوني يستند إلى ركائز دينية، والعقيدة المسيحية كان لها أثرها في تاريخ البشرية، كما أن الدين الإسلامي كان له دور كبير في بناء حضارته وامتداده في العالم.
ولكن هذا العامل لا يكون دائم التأثير، وإنما ينتاب الأمم فترات من الضعف والتأخر بسبب ابتعادها عن تعاليم الدين، ليس ذلك فحسب، وإنما وجد في أوربا في المرحلة الزمنية ذاتها من عارض تلك الأفكار وأهمل دور الدين وغيّبه، لا؛ بل عارضه بشدة، وبرر تلك الفكرة بأنها أوهام وأساطير.

ولا شك أن جهل رجال الدين ، وانطماس بصائرهم ، واستغلالهم للناس بصكوك الغفران ؛ جعل عند الأوساط المثقفة وغيرها نفوراً من الدين . إضافة لعوامل أخرى أثرت على الفكر الغربي الحديث ، مثل الثورة الصناعية ، وظهور الفلسفات البرجماتية والمادية والماركسية واللبرالية التي أثرت على بنية المجتمع الأوربي فحطمت الكثير من القيم والتقاليد ، ناهيك عن ظهور العلمانية في مفهومها الواسع : "فصل الدين عن الحياة"، فظهرت المقولة المشهورة : " دع ما لقيصر

[22] أسقف فرنسي شهير (1627-1704)م، مؤلف كتاب ((رسالة عن التاريخ العالمي)). أوضح فيه رأيه بأن مصائر الشعوب وقيام الامبراطوريات واضمحلالها إنما تنظمها العناية الإلهية. (ياغي: 205).
[23] ياغي: ص:206.

لقيصر وما لله لله" [24]. ومما يؤكد ذلك ؛ أن مؤرخ الحضارة الألماني (بور كار) يرى أن الفصل بين الدين والدولة والحضـارة ، من أهم الأمور للتحرر من الأسـطورة، أي (الدين)، أيضـاً جاء في أقوال رواد الثورة الاشتراكية في الإتحاد السوفيتي (ماركس ولينين وستالين) أن الدين والأخلاق أوهام تتستر خلفها المصالح ، والدين هو أفيون الشعوب.

وهكذا نجد أن التاريخ الأوربي في العصـر الحديث تأثر بالإلحاد والشـيوعية ، وتأثر بالعلمانية ، وما من شـك في تأثير الصـهيونية اليهودية على الفكر الأوربي آنذاك[25]، ويبدو أن هذه الدعاية سرت وانتقلت إلى المشرق العربي والإسلامي[26].

ثالثاً- المدرسة البيوغرافية (مدرسة سير الأشخاص أو التراجم):

تركز هذه المدرسة على تفسير الأحداث من خلال النظر في الجوانب الإنسانية والبيئية والثقافية، وتعد الإنسان وسياقه الاجتماعي والثقافي جزءًا أساسيًا من الأحداث التاريخية.

[24] المصري، محمد: موقف أهل السنة والجماعة من العلمانية، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، عدد9، ص9. فخري، ممدوح: الغزو الفكري، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط1، عدد1، 1389هـ، ص23-24.

[25] راجع محمد، جعفر: اليهود وأسلوب الكذبة الكبرى، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، عدد36، ص31.

[26] للمزيد راجع البشير الإبراهيمي، محمد بن بشير (ت1385هـ): آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم : أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997، ج3، ص142-175.

خضر، أحمد إبراهيم: علماء الاجتماع والعداء للدين، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، عدد45، ص37.

تقوم هذه المدرسة على تفسير وقائع التاريخ وأحداثه استناداً إلى جهود قامت بها شخصية ما في مجال من المجالات وخاصة في مجال السياسة، وأن التاريخ هو السيرة المشتركة لعظماء الإنسانية.

لذلك فهي تولي أهمية كبيرة لدور الفرد في التاريخ ،أو دور الرجل العظيم ، أو دور البطل.

والحق أن هذا المفهوم يعد – تاريخياً– أقدم من المفهوم الديني، فقبل أن يعي الإنسان الآلهة اعتقد أنه يستطيع السيطرة على الطبيعة سيطرة مباشرة ويسخرها لصالحه وذلك عن طريق أعمال السحر. [27]

ومن زعماء هذه المدرسة في القرن التاسع عشر الأمريكي رالف والدو ايمرس (1803-1882)، فالفردية الإنسانية بالنسبة إليه هي أحد الوجوه الرئيسية لتصوره للتاريخ، وأن درجة الحضارة تقاس – بالنسبة إليه – بنموذج الرجال الذين أنجبتهم هذه الحضارة عامة، وأن هناك أناس خارقون، عظيمون، وتمثيليون قادوا الإنسانية إلى "اللحظات العظيمة" في التاريخ. [28]

ويرى أن الطبيعة وجدت للممتاز، وأبرز أن التميز هو التميز الروحي لا المادي، وفرّق بين العظمة التقدمية، والعظمة المهاجمة أو المعتدية.

فنابليون بونابرت وعلى الرغم أنه أظهر كفاياته المختلفة، إلا أن أمرسون يرى فيه شهرة كبيرة ترافقها ضجة ضخمة...، فهو ليس إخلاصاً وإيماناً؛ وإنما إنساناً كان مستعداً أن يسرق، ويقتل، ليحقق مصلحته الخاصة.

---

[27] الدسوقي: البحث في التاريخ، ص:113.

[28] ويدجري، ألبان: المذاهب الكبرى في التاريخ، تر: ذوقان قرقوط، دار القلم ، ط:2، بيروت، 1979، ص:238-240.

فالتاريخ بالنسبة لأمرسون ليس وسيلة "لعبادة البطل" وإنما هو أداة للتمييز بين الأبطال الحقيقيين والمزيفين. [29]

وكذلك من رواد هذه المدرسة الفيلسوف الإنكليزي – الاسكتلندي توماس كارليل (1795-1881) صاحب كتاب ((الأبطال وعبادة البطل))[30]

فهو يرى أن التاريخ الشامل هو ما أنجزه الإنسان في هذا العالم، وهو في قرارة الأمر تاريخ الرجال العظام الذين عملوا فيه، وكانوا القادة والقدوة والنموذج، وكل ما نراه من إنجاز في العالم هو حرفياً النتيجة المادية والتحقيق العملي والتجسيد للأفكار التي عمرت بها مخيلة الرجال العظام المرسلين إلى العالم. ويرى كارليل أن تاريخ العالم هو سيرة الرجال العظام. [31]

إذاً فالجماهير لا أهمية لها في التاريخ، لأن العمود الفقري له هو ((العظماء)).

إلا أن كارليل لم ينظر إلى عظماء العسكريين، والملوك فحسب، بل أدخل في دائرة العظماء، الأنبياء، وجميع المعلمين الذين أناروا للبشرية طريقها.

إذ أنه قاس العظمة لا بمولد الإنسان وطبقته، وإنما بموهبته، وعطائه للمجموع.

لذا فإن درس التاريخ الهام والوحيد- بالنسبة إليه – هو ((تفوق البطل، وضرورة عبادته)). وعلى عكس أمرسون فإنه يرى في نابليون أعظم الرجال في عصره، والذي لم ير العالم نظيراً له منذ عصور. [32]

وعندما وجهت سهام النقد إلى أفكار كارليل عن البطل والبطولة، مشيرة إلى أن البطل ابن عصره ووليد مجتمعه، اعترض كارليل على ذلك بقوله:

---

[29] الصباغ، ليلى: منهجية البحث التاريخي، منشورات جامعة دمشق،د.ت، ص:344-345.

[30] الصباغ: ص:344..

[31] ويد جيري: ص:241.

[32] الصباغ: ص:344-345.

"إنهم يقولون عن البطل أنه ابن عصره، أي أن عصره هو الذي أوجده، وينسبون كل شيء إلى عصره، ولكني عرفت عصوراً تصرخ عالياً، تنادي مطالبة بالعظماء، لكنها تفقدهم. أين البطل؟! ليس هناك... أين الزعيم...؟! لا زعيم...

ومع أن البطولة تنحصر في تصورات الناس في المجال السياسي والعسكري إلا أن كارليل وسع حدودها لتشمل مجالات الإبداع المختلفة.[33]

وفي نظر هولباخ [34] فإن تاريخ الشعب اليهودي من صنع رجل واحد هو موسى عليه السلام الذي صاغ طابع اليهود وأعطاهم تكوينهم الاجتماعي والسياسي، كما أعطاهم دينهم. وكان هولباخ يضيف أن كل شعب له موساه. [35]

وفي عام 1939 واستناداً إلى كتاب كارليل، وضع سير تشارلز أومان قائمة بأسماء الشخصيات الفذة، صانعي العصور الذين غيروا مجرى التاريخ.

وفيما بعد نشر المؤلف الأمريكي مايكل هارت كتاباً في ستمائة صفحة بعنوان ((المائة : تقويم لأعظم الناس أثراً في التاريخ)). وأقام أسس اختياره على أن يكون الشخص عميق الأثر وعالمي وليس إقليمي، ومن هنا استبعد كل الزعامات التي لها أثر محلي فقط. [36]

حتى أن أصحاب النظرة المادية (الاقتصادية) في التاريخ يعترفون بدور الرجل العظيم في التاريخ، ويرون أن هناك نمطان من العظماء:

1. رجل الفكر العظيم: ودوره أن يهيئ أذهان الناس للتغيرات الثورية.

---

[33] الدسوقي: البحث في التاريخ، ص:116.

[34] بول هولباخ (1723-1789) فيلسوف مادي وملحد فرنسي، من منظري الثورة الفرنسية البرجوازية، ومن مؤلفاته (فضح المسيحية) (المعجم الفلسفي المختصر،ص:589).

[35] بليخانوف، جيورجي: فلسفة التاريخ – المفهوم المادي للتاريخ، د.م، د.ت، ص:30.

[36] الدسوقي: البحث في التاريخ، ص:116-117.

2. رجل الفعل: ودوره أن ينظم النضـــال بين الطبقات التي تنهض لإنجاز قضـــيتها بواســـطة الثورة.ولكن يرى هؤلاء الماديون أن الرجل العظيم يظهر عندما تكون الحاجة إليه ماسـة. أما ظهور شـخص بعينه في مرحلة ما من المراحل فهو مجرد صـدفة. ويرون أن الثورة الروسـية كانت بالضرورة خليقة بأن تقع، عاجلاً أم آجلاً، حتى بدون لينين. [37]

والمؤرخون المعاصرون من "مدرسة التراجم" تجاوزوا كثيراً مفهوم ((عبادة البطل)) ، وغدوا لا يعتقدون باختيار بعض أفراد لدراســـتهم، وإهمال بقية الإنســـانية، بل على العكس، يعترفون بمركز "الإنسـان العادي" وقيمته في التيار العام للتاريخ، ولكنهم يرسـمون الاتجاه العام لهذا التيار، عبر أعمال الشخصيات التي برزت إلى السطح، لتركب هذا التيار، ومن خلال أفكارها.

كما أن مؤرخوا سير الأشخاص "التراجم" لم يتنازلوا اليوم عن الديمقراطية لصالح حفنة من الأرستقراطيين، وإنما أكدوا عن طريق إيضـاحهم لحياة شـخصـياتهم، أن التاريخ ليس سـرداً لتاريخ سنوات، وإنما ((قصة حياة)). [38]

كما يرى نقّاد هذه المدرسة أنها تتجاهل دور البيئة الاجتماعية والظروف المحيطة التي يظهر من خلالها هؤلاء الأفراد المتفوقون ويمارسون نشاطهم في محيطها. [39]

أهمية مدرسة التفسير البيوغرافية

- تساهم في فهم الأحداث من منظور إنساني واقعي.

---

[37] عبـد الحميـد، صـائب: فلسـفة التـاريخ في الفكـر الإسـلامي، دار الهـدى، ط:1،بـيروت، 2007، ص:116-117.

- فلاديمـير ايليـتش لينـين (1870-1924)، مـن أبـرز مطـوري الماركسـية، زعـيم البروليتاريـا الروسـية والعالميـة، مؤسـس الحـزب الشـيوعي السـوفيتي والدولـة السـوفيتية (المعجـم الفلسـفي المختصر : 582)

[38] الصباغ: ص:345.

[39] الدسوقي: البحث في التاريخ، ص:117.

- تعزز الوعي بالتأثيرات البيئية والثقافية على الأحداث.
- تساعد في تجنب الاعتماد الكلي على الجوانب السياسية أو العسكرية في تفسير الأحداث
- تعد التراجم والسير الذاتية للدعاة والعلماء جزءًا من الإرث الثقافي والديني.
- تساهم في نقل تجارب الحياة والعلم والتفكير للأجيال اللاحقة.
- تعزز الوعي بالشخصيات التي كان لها تأثير كبير ومفيد.

ومن دراسة هذه النظرية والمدرسة نفهم أن عظماء الرجال هم الذين يحركون التاريخ، وهم الذين ينهضون بأممهم ويسيطرون على ما يحيط بهم من قوى سياسية واقتصادية واجتماعية، ولا شك أن لعظماء الرجال دورهم في صنع التاريخ، ولكن هذا الدور ليس دوراً مجرداً إنما هو محصلة لتفاعل عدد من المؤثرات الداخلية والخارجية تجسدت في النهاية في دور الزعيم، ومن القادة الذين توفرت لهم تلك الشروط: الاسكندر الأكبر ويوليوس قيصر، وعمر بن الخطاب، وصلاح الدين الأيوبي، ونابليون، وليس ضرورياً أن تكون صفات القائد إيجابية أو خلقية، فهمجية تيمورلنك ودكتاتورية هتلر وروح تشرشل الاستعمارية كلها عوامل أساسية في بروزهم.

خاتمـــة:

للمدرستين المدروستين (الدينية والبيوغرافية) أهمية خاصة في فلسفة وتفسير وتعليل الأحداث التاريخية، إلا أن ذلك لا يُنكر أهمية المدارس الأخرى في ذلك، والتي سيأتي عليها الباحث في أبحاث أخرى قادمة، وهنا يجب عد هذه المدرستين وجهات نظر يجب تكاملهما مع غيرهما من المدارس التي دَرست وفَسّرت التاريخ.

وهنا لا بدّ من التأكيد على أهمية الدين في تفسير مسير الأحداث التاريخية، وذلك كائن لا محالة، فحتى الشعوب اللادينية كانت ترى أن هناك محركاً خفياً للأحدث، وغالباً ما عللت ذلك بقوى خارقة للطبيعة.

وأيضاً مدرسة التراجم يُعزز أفكارها وآرائها سِير بعض الشخصيات وانجازاتهم الهامة عبر العصور التاريخية عامة.

في النهاية، يجب أن نتذكر أن تفسير التاريخ هو عملية اجتهادية قابلة للتعديل والتحسين، وإذا كان التأريخ للنظريات والمناهج التفسيرية يفيد في رصد جهود العلماء في وضع أسس نظرية للتفسير، وتطور هذه الجهود، وما يحتاج منها إلى تتميم أو ترميم أو إضافة؛ فإنّ التأريخ للقضايا والمسائل والمفاهيم العلمية المتداولة في كتب التفسير مهم جدًّا في رصد التطوّر الحاصل في هذه المسائل نفسها، والتطوّر الحاصل في التفسير عمومًا، بحيث يمكن ملاحظة لحظات الإبداع والتجديد في تاريخ العلم، ولحظات الخمود والتقليد فيه مع ربط ذلك بأسبابه وملابساته

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

1. البشير الإبراهيمي، محمد بن بشير (ت1385هـ): آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم : أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997.
2. ابن خلدون، عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، تح: خليل شحادة، دار الفكر، ط1.

المراجع العربية

3. بليخانوف، جيورجي: فلسفة التاريخ المفهوم المادي للتاريخ.
4. عبد الحميد، صائب: فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، دار الهدى، ط:1،بيروت، 2007.
5. خضر، أحمد إبراهيم: علماء الاجتماع والعداء للدين، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، عدد 45.

6. الدسوقي، عاصم: البحث في التاريخ، مكتبة القدسي، أسيوط.
7. الشرقاوي، محمود: التفسير الديني للتاريخ، كتاب الشعب، ط:1.
8. الصباغ، ليلى: منهجية البحث التاريخي، منشورات جامعة دمشق.
9. صبحي، أحمد محمود: في فلسفة التاريخ، الجامعية الليبية، مكتبة القضمان، دمشق.
10. فخري، ممدوح: الغزو الفكري، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط1، عدد1، 1389هـ.
11. محمد، جعفر: اليهود وأسلوب الكذبة الكبرى، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، عدد36.
12. المصري، محمد: موقف أهل السنة والجماعة من العلمانية، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، عدد9.
13. خوري، منَح: التاريخ الحضاريّ عند تُوينبي، بيروت، دار العلم للملايين،1960.
14. الموسوعة العربية المُيَسَرة، إشراف: محمد شفيق غربال ، دار الشعب، القاهرة.
15. مؤنس، حسين : التاريخ والمؤرخون، دار المعارف، القاهرة، 1984.
16. النجار، جميل موسى: دراسات في فلسفة التاريخ النقدية، بغداد، ط:1، 2004.
17. ياغي، اسماعيل محمد أحمد: مصادر التاريخ الحديث ومناهج البحث فيه، مكتبة العبيكان، الرياض، 1999.
18. يزبك، قاسم : التاريخ ومنهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني ، ط:1، بيروت، 1990.

المراجع المعربة:

19. كارل روزنكرنز، حياة هيغل، دنكر وهمبلت، 1844.
20. لوبون، غوستاف: فلسفة التاريخ، تر: عادل زعيتر، دار المعارف ، مصر، 1954.
21. المعجم الفلسفي المختصر، ترجمة: توفيق سلوم، دار التقدم، ط:4،موسكو، 1986.
22. ويدجري، ألبان: المذاهب الكبرى في التاريخ، تر: ذوقان قرقوط، دار القلم ، ط:2، بيروت، 1979.

إضاءات على تـاريـخ المعتزلة

علي موسى طالب/ دكتوراه في تاريخ العرب والإسلام / جامعة حمص / قسم التاريخ

ملخص

نشأ الاعتزال كمذهب فكري في أواخر العصر الأموي، واستمر طيلة العصر العباسي، ومرد ذلك لأسباب عديدة فسرها الباحثون حسب المنظور الذي رأوا به مذهب الاعتزال، فمنهم من قال أنهم نشأوا من رحم الخلافات التي أبرزت مذاهب فكرية متعددة، إذ تأثرت ببعض الفلسفات المستوردة، وخرجت عن أهل السنة والجماعة، والبعض الآخر رأى أنهم نشأوا من أجل الدفاع عن العقيدة الإسلامية والحفاظ عليها، وهذا الجدل في أمرهم أدى إلى انتشار أفكارهم إذ راجت ولاقت قبول لدى بعض المفكرين، لاسيما أن بعض الخلفاء تبنوا أفكارهم ونادوا بها.

كما اختلفت النظريات في كيفية ظهور هذا المذهب أيضاً، وأطلقت عليه وعلى أتباعه مسميات عدة انطلاقاً من المبادئ التي نادوا بها، إذ اعتمدوا على مبادئ وأصول خمسة لا يعد الإنسان اعتزالياً إلا إذا نادى بها، واعتقد بها.

ولما لاقت الأفكار قبولاً ورواجاً ظهر عدد من الفرق التابعة للمعتزلة بزعامة رجالات كان لهم أثر كبير في مسيرة المعتزلة، وامتد آثرهم على الفكر العربي الإسلامي من خلال ما تركوه من نتاج أدبي وثقافي لا يمكن إغفاله أو تجاهله.

ولكن مع استمرار خلافهم لعقيدة أهل السنة وخروجهم عنها في مواضع كثيرة تصدى الفقهاء لهم، مما أدى إلى اضمحلال آرائهم وتراجع أثرهم، وهذا ما سيتم بحثه.

الكلمات المفتاحية: المعتزلة، مذهب الاعتزال، نشأة الاعتزال، مبادئ الاعتزال، فرق المعتزلة، افكار المعتزلة، اضمحلال المعتزلة.

Abstract

Retirement arose as an intellectual doctrine at the end of the Umayyad era and continued throughout the Abbasid era. The Sunnah and the Community, and others saw that they were raised in order to defend and preserve the Islamic faith, and this controversy in their matter led to the spread of their ideas, as they were popular and accepted by some thinkers, especially since some of the caliphs adopted their ideas and advocated them.

heories also differed in how this sect emerged, and they called it and its followers several names based on the principles that they proclaimed.

And when the ideas met with acceptance and popularity, a number of Mu'tazila sects appeared, led by men who had a great impact on the Mu'tazila's march, and their influence extended to Arab-Islamic thought through the literary and cultural products they left behind that cannot be overlooked or ignored.

But with their continued disagreement with the belief of the Sunnis and their departure from it in many places, the jurists confronted them, which led to the decline of their opinions and the decline of their impact, and this is what will be discussed.

Keywords: Mu'tazila, Mu'tazila doctrine, the emergence of Mu'tazila, Mu'tazila principles, Mu'tazila sects, Mu'tazila ideas, Mu'tazila's decline.

مقدمة.

من الواضح أن الاختلافات العقائدية والفكرية التي ظهرت بين العرب المسلمين وتعمقت بشكل واضح لم تكن وليدة العصر الذي أخذت فيه طابع المذاهب والفرق، وإذا كان المراد الدقة فالأصح القول بأن هذه الاختلافات بدأت منذ وفاة النبي ﷺ والتحاقه بالرفيق الأعلى، ففي زمان حياة النبي ووجوده بين المسلمين كانت مبادرته إلى حل الخلافات التي تنشب بين المسلمين وانشغال الناس بالدعوة الى الإسلام يحول دون اندلاع الخلافات؛ لكن بعد وفاة النبي ﷺ ظهرت الخلافات الفكرية، وتطورت ثم تحولت إلى مذاهب خاصة لها مبادئها وتعاليمها، وأساليبها، وآرائها الخاصة التي تبناها جماعة من المتكلمين، وكان من بينها مذهب الاعتزال الذي عُد من أكبر المذاهب الفكرية والفلسفية العربية الإسلامية.

1- إشكالية البحث.

تكمن إشكالية البحث في محاولة تتبع ظروف نشأة هذا المذهب، لاسيما أن هناك نفر من الباحثين والكتاب في علم الكلام لهم وجهات نظر متباينة حول هذه الفرقة الإسلامية، ولديهم نوع من الغموض وعدم الوضوح فيما يتعلق بإطلاق الحكم عليها، إذ رآهم البعض أنهم من رواد الفكر الحر، والبعض الآخر رآهم من أعداء السنة والإسلام، وبناء على ذلك تم اختيار موضوع الاعتزال كمذهب فكري لمعرفة مبادئه وأفكاره التي أدلى بها في مسرح الحياة العربية الإسلامية، والتي كان لها أثرها في جميع نواحي الحياة الفكرية والأدبية والفلسفية في العصر العربي الإسلامي، ولإلقاء الضوء على بعض المبادئ التي نادى بها مذهب الاعتزال والتي كان لها وقع كبير في العالم العربي الإسلامي.

وثمة إشكالية أخرى يحاول البحث حلها، يمكن صياغتها بالسؤال التالي، ماهي المبادئ والأسس التي بني عليها مذهب الاعتزال، وماهي أهم فرقهم؟ وهل فعلاً استطاع هذا المذهب الاستمرار رغم المعارضة فقهاء المذاهب الإسلامية الأخرى؟

2- أهمية البحث.

كان من الدوافع لاختيار هذا الموضوع هو الشهرة التي سطعت لهذه الفرقة في ميادين علم الكلام في بلاد المشرق العربي الإسلامي، وانتقالها إلى بلاد المغرب العربي الإسلامي خلال مرحلة العصور الإسلامية اللاحقة.

كما أن مخالفتها لرأي الفقهاء السنة في كثير من الأمور، شكل دافعاً أساسياً للاطلاع على المبادئ التي نادوا بها، إذ كان الفقهاء غالباً ما يرددون عبارة "خلافاً للمعتزلة" وعليه تبرز أهمية البحث وسبب اختياره.

3- أهداف البحث.

يتشكل الهدف الأساسي للبحث في محاولة التعريف بمذهب الاعتزال، وبيان وتوضيح دور مذهب الاعتزال في مسرح الحياة الفكرية العربية الإسلامية خلال العصر الإسلامي، إذ لا يخفى على الباحثين في مبادئ العقيدة أهمية معرفة الفرق الكلامية وأثرها، لمعرفة مواطن القوة والضعف في كل مذهب كلامي.

4- صعوبات البحث:

لكل عمل علمي مهما كان نوعه، وطريقة بحثه صعوبات متعددة منها:

- كثافة الأفكار التي يستقيها البحث.
- الحصول على المصادر والمراجع المتخصصة المتعلقة بهذا المجال إذ جاءت أغلب الدراسات في سياق عام.
- غلبة الطابع الجدلي على هكذا أنواع من الأبحاث، ومحاولة كل طرف الانتصار للفرقة التي يؤيدها مدعماً ذلك بشواهد وأقوال، مما يفرض على الباحثين الدقة والحذر في دراسة أنواع الفرق والمذاهب الإسلامية.

5- منهج البحث وإجراءاته.

قام البحث على دراسة عدة أمور والتطرق لها في محاولة لإلقاء الضوء على عدة نواحي من خلال ما جاء في المصادر والمراجع، معتمداً على مناهج بحثية متعددة، وهي: المنهج التاريخي **الوصفي** كونه المناسب لوصف نشأة هذا المذهب، كما تم الاعتماد على المنهج **التحليلي** للمعلومات الواردة في بطون المصادر والمراجع العربية الإسلامية التي تناولت هذه الفرقة بالبحث والدراسة من أجل استخلاص المعلومات التي تخدم فصول البحث.

وكان أهم المصادر التي شكلت العون الأساسي في إنجاز هذا البحث كتاب "الملل والنحل" للشهرستاني وكتاب "الفرق بين الفرق" للبغدادي، وكتاب "الأصول الخمسة" المنسوب إلى القاضي عبد الجبار.

أولاً- تعريف علم الكلام:

1- تعريف علم الكلام في اللغة:

في اللغة علم الكلام: هو مصطلح مركب من كلمتين وبالتالي يمكن تقسيمه الى:
علم: وهو نقيض الجهل؛ عَلِمَ علماً وعَلُمَ: أي هو نفسه ذي علم؛ ورجل عالم وعليم: أي من قوم علماء؛ وعلّام وعلّامة: إذا بالغت في وصفه بالعلم؛ أي عالم جداً؛ وعَلِمْت الشيء: أي عرفته؛ وقال ابن برّي: "وتقول عَلِمَ وفَقِهَ: أي تعلم وتفقه؛ وعَلُمَ وفَقُهَ: أي ساد الفقهاء والعلماء". أما: الكلام: فهو القول؛ وقيل الكلام: ما كان مكتفياً بنفسه وهو الجملة؛ والقول ما لم يكن مكتفياً بنفسه وهو الجزء من الجملة[1].

[1] **ابن منظور**، محمد بن مكرم بن علي (ت711هـ/1311م): **لسان العرب**، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ت)، مادة: عَلَمَ، ص 3083.

والمعلوم أن الكلمة الواحدة لا تشجي ولا تحزن ولا تملك قلب السامع؛ وإنما ذلك فيما طال من الكلام وأمتع سامعيه. أما الجوهري فقال: "الكلام اسم جنس، يقع على القليل والكثير، والكلام لا يكون أكثر من ثلاث كلمات لأنه جمع كلمة".

والكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء، وتقع على اللفظة المؤلفة من جماعة حروف ذات معنى، وتقع على قصيدة بأكملها وخطبة بأسرها يقال: قال الشاعر في كلمته: أي قصيدته[1].

2- تعريف علم الكلام في الاصطلاح:

بالرغم من أن ظاهرة الكلام قديمة في التاريخ العربي الإسلامي؛ فإن تعريفها لم يحصل إلا في وقت متأخر، إذ لا يعرف من حدَّ علم الكلام قبل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) والطريف أن أول تعريف للكلام لم يضعه متكلم بل وضعه فيلسوف هو أبو نصر الفارابي[2] بقوله: "وصناعة الكلام يقتدر بها الإنسان على نصر الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة، وتزييف ما خالفها بالأقاويل[3]. ولابد من ذكر رأي الغزالي[4] الذي بين غاية علم الكلام في كتابه "المنقذ من الضلال" إذ قال: "ثم إني ابتدأت بعلم الكلام؛ فحصلته وعقلته، وطالعت كتب المحققين منهم؛

---

(1) **ابن منظور: لسان العرب**، مادة : كَلَمَ، ص 3922.

(2) **الفارابي:** محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ (260-339هجري/874-950ميلادي) أكبر فلاسفة المسلمين، تركي الأصل، مستعرب، عرف بالمعلم الثاني، لشرحه مؤلفات أرسطو، توفي بدمشق. **القفطي**، علي بن يوسف (646هـ/1248م): **أخبار العلماء بأخبار الحكماء**، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2005م، ص 210.

(3) **أبو هلال**، محمد: **إسلام المتكلمين**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص13.

(4) محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد حجة الإسلام، ومحجة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام، ولد بطوس سنة خمسين وأربعمئة، وتوفي يوم الاثنين، وله نحو مائتي مصنف. **ابن خلكان**، أحمد بن محمد (ت681هـ/1282م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 1977م، ج:4، ص: 216- 218.

وصنفت فيه ما أردت أن أصنف، وصادفته علماً وافياً بمقصوده غير وافٍ بمقصودي، وإنما مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة .... [1].

يلاحظ أن الغزالي قصر علم الكلام على أنه ظاهرة سيئة، مع أن الكلام يضم مدارس وجهود عديدة هدفها ليس حفظ العقيدة السنية فقط، في حين وجد أن الدافع لعلم الكلام هو رد الشبهات والدفاع عن العقائد.

أما الإيجي[2]: كان له رأي في تعريف علم الكلام إذ قال: "الكلام علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبهات والمراد بالعقائد: ما يقصد به الاعتقاد القائم دون العمل، والدينية: تعني دين محمد ﷺ وعليه فإن الخصم وإن خطأناه لا نخرجه من علماء الكلام[3]، ومن خلال تلك التعريفات يمكن استخلاص مايلي:

1. أن بعضها ناظر الى العلم.
2. بعضها يشير الى الغاية منه، كالدفاع أو المعرفة.
3. بعضها ناظر الى المنهج من العقل والنقل.

والحق أن الغرض الأساسي من علم الكلام في القرون الثاني والثالث والرابع للهجرة هو فهم العقيدة الإسلامية وتحصيلها وتحديد المعاني الغامضة التي وردت في الكتاب والسنة مثل الله وصفاته: العدل، القدر، الوعد والوعيد، والثواب. وهو علم تحصيلي وليس علم آني يقصد منه

---

[1] **الغزالي**، محمد بن أحمد: **المنقذ من الضلال**، تح: عبد الحليم محمود، مكتبة الأنجلو مصرية، ط4، عام 1964م، ص19.

[2] **الإيجي**: عبد الرحمن بن أحمد عضد الدين الإيجي، ولد بإيج من نواحي شيراز، بعد السبع مائة وأخذ عن مشايخ عصره ولازم زين الدين تلميذ البيضاوي، مات مسجوناً سنة 706/1307م للهجرة. **الشوكاني**، محمد بن علي: **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1250هـ، ج1، ص326.

[3] **الإيجي**، عبد الرحمن بن أحمد: **المواقف في علم الكلام**، دار علم الكتاب، بيروت، لبنان، (د.ت)، ج1، ص 7.

المنافحة ومواجهة الخصوم، ولم يعد يقتصر على المسائل الدينية بل تعداها الى التفكير العام في الوجود والطبيعة والعالم) [1].

3- فائدة علم الكلام:

أدلى الغزالي بما يراه القول الفصل في فائدة هذا العلم فقال: "إن فيه منفعة ومضرة، فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع به ومحله حلال، وهو باعتبار مضرته في وقت الضرر به ومحله حرام إذا وقعت الإحاطة بضرره ومنفعته، فينبغي ان يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر إذ لا يضعه إلا في موضعه، وذلك وقت الحاجة إليه على قدر الحاجة". ثم قال: "وإن الشافعي وكافة السلف إنما منعوا من الخوض فيه والتجرد له، لما فيه من الضرر"[2]. ويمكن القول أن فائدة علم الكلام تكمن في أمور عدة أهمها:

1. الترفع عن التقليد والوصول الى ذروة الإيمان بدليل قول الله تعالى:" يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات"[3].
2. إرشاد المسترشدين، بمعنى الذين يدعون صحة آرائهم بإيضاح الحجة، وإلزام المعاندين، الذين يرفضون الاعتقاد بأفكارهم بإقامة الحجة .
3. حفظ قواعد الدين من أن تزلزلها شبه المبطلين، التي كانت بدع دخيلة من أجل تشويه مقصود.
4. تبنى عليه علوم الشريعة، فإنه أساسها وإليه يؤول أخذها واقتباسها.
5. صحة النية والاعتقاد، إذ بها يرجى قبول العمل وغاية كل ذلك الفوز بسعادة الدارين[4].

---

[1] **الإيجي: المواقف في علم الكلام**، ج1، ص10.

[2] **الغزالي: المنقذ من الضلال**، ص22. **البوطي**، محمد سعيد رمضان: **مذاهب توحيدية وفلسفات معاصرة**، دار الفكر، دمشق، ط 3، 2010م، ص43.

[3] **القرآن الكريم، سورة المجادلة: الآية 11.**

[4] **النجار**، عامر: **علم الكلام عرض ونقد**، مكتبة الثقافة الدينية، قاهرة، مصر، 1430هـ/2009م، ص14.

كما تحدث العلامة ابن خلدون عن فوائد علم الكلام فقال: "فائدة علم الكلام في آحاد الناس معتبرة إذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجاج الفطرية على عقائدها"[1]، ويشارك هذا المعنى الكثير من العلماء المتكلمين إذ تكمن فائدته في الحفاظ على العقيدة والدفاع عنها، والحفاظ عليها من التشويه، وإصباغها بالصبغات الفلسفية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت بين العقائد غير الإسلامية المتعددة، إذاً يلاحظ أن جميع أراء العلماء تمحورت في أن فائدة علم الكلام هو الدفاع عن العقيدة الإسلامية ولا يمكن إنكار الفضل الذي قدمه في سبيل الحفاظ على العقيدة من الانحلال والضياع، ومواجهة الفرق المخالفة للشريعة الإسلامية وإبطال حججها وهذا تطلب المعرفة والتعمق في الدين.

ثانياً- تعريف المعتزلة:

1- تعريف المعتزلة لغةً:

قال ابن منظور[2]: "عزل الشيء يعزله عزلاً؛ وعزله فاعتزل وانعزل وتعزل: أي نحاه جانباً فانتحى، وقوله تعالى: "إنهم عن السمع لمعزولون"[3]. معناه أنهم لما رموا بالنجوم منعوا من السمع، أي بمعنى عزل الشياطين عن سماع ما يجري في السماوات ومنعهم من ذلك، ورجمهم بالأجرام السماوية من كل جانب. واعتزل الشيء وتعزله: تنحى عنه، وقوله تعالى: "إن لم تؤمنوا لي فاعتزلون"[4]، معناه: إن لم تؤمنوا بي فلا تكونوا معي ولا علي، ويرجح أن المراد هو أن يعتزلوه أي يبتعدوا عنه ولا يقربوه.

---

[1] **ابن خلدون**، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت808هـ/1405م): **المقدمة**- من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، (د.ت)، ص131.

[2] **ابن منظور**: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، الإمام اللغوي الحجة، ولد بمصر وخدم في ديوان الإنشاء في القاهرة، ثم ولي القضاء بطرابلس، وتوفي في مصر 711هـ/1312م. **الزركلي**، خيرالدين: **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط 15، بيروت، لبنان، 2002م، ج5 ، ص220.

[3] **القرآن الكريم، سورة الشعراء: الآية** 212.

[4] **القرآن الكريم، سورة الدخان: الآية 21.**

واعتزل الشيء: بَعُد عنه. وكنت بمعزل عن الشيء: أي كنت بموضع عزلة عنه، واعتزلت القوم: أي فارقتهم[1]، والمراد من المفارقة هو الابتعاد والاعتزال عن جماعة القوم وعدم الانتماء لهم.

وبذلك يكون معنى المعتزلة في اللغة: التنحي والابتعاد والمفارقة، لكن وجد اختلاف فيما تنحت عنه المعتزلة، إذ تعددت الآراء وتشابكت هل هو تنحي سياسي؟ أم هو تنحي مجلس الحسن البصري[2]؟ ويرجح أن السبب الأساسي في تسمية المعتزلة هو الاعتزال وإن وجد الاختلاف بطبيعة هذا الاعتزال.

2- تعريف المعتزلة في الاصطلاح:

اختلفت وتنوعت تعريفات الباحثين لفرقة المعتزلة بدرجة كبيرة، مرد ذلك الى اختلاف مقاصدهم وغاياتهم من هذه التعريفات، فمنهم من عرفهم بالنسبة لمؤسس الفرقة، وآخر من خلال نشاطهم في تقرير مسائل علم الكلام[3]، وإرساء قواعده، وأخر من خلال منهجهم العقلي المقدم على الوحي،

---

[1] **أبو منصور**، محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت488هـ/1095م): **تهذيب اللغة**، تح: عبد السلام هارون وآخرون، الدار المصرية ، مصر الجديدة، (د.ط)، (د.ت)، ج2، ص134.

[2] **الحسن البصري:** هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي وإمام أهل البصرة، وحبر الأمة في ذلك الوقت، ولد بالمدينة وسكن بالبصرة، وله كتاب: فضائل مكة، توفي بالبصرة سنة 110هـ/729م. **الزركلي: الأعلام**، ج2، ص226.

[3] **علم الكلام:** العلم الباحث عن الأغراض الذاتية للوجود، من حيث قاعدة الإسلام. **الجهني**، مانع بن حماد: **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط4، 1420 هـ، ج1، ص64.

وآخر من خلال أسماءهم وألقابهم وما أجمعوا عليه من العقائد[1]– الأصول الخمسة– وأخر بالنسبة لنشاطهم السياسي الذي ظهر للرد على عقيدة الجبر[2] والإرجاء[3] والتشبيه[4].

ومهما يكن من أمر هذه التعريفات فإنها محاولة لوضع تعريف دقيق لماهية هذه الفرقة وماهي الأسباب التي أدت الى وجودها وما هو السر الكامن وراء انتشار أفكارها وتطورها خلال عقود من الزمن والتأثيرات التي أثرت بها في مسيرة الحركة الفكرية على صعيد الدين والأدب وكان لها عظيم الأثر في إضفاء طابعها الخاص على الكثير من الأمور الحياتية سواء الأدب والفن والدين.

قال في ذلك سعيد مراد: "لقد اختلفت الآراء، وتعددت الاتجاهات حول مفهوم الاعتزال، هل هو اعتزال سياسي؟ أم اعتزال مباهج الدنيا وزينتها؟ أم اعتزال الفئة الضالة وأهل الفتنة؟ أم أنه موقف فكري له أصوله وقواعده؟ هذا بالإضافة إلى أن مفهوم الاعتزال تأثر بدرجة كبير بموقف الأنصار والخصوم، مما حدى بكل منهم أن يطلق على أصحاب الاعتزال من الألقاب والتسميات ما يتناسب مع الموقف الفكري لكل منهم[5]، وإلينا شيئاً من هذه التعريفات، التي من خلالها يمكن إلقاء الضوء على أهم ما عرف به المعتزلة عبر تاريخهم الطويل:

---

[1] **الجهني: الموسوعة الميسرة**، ج1، ص64.

[2] **الجبر**: هو نفي الفعل عن العبد، وإضافته إلى الرب تعالى، فجعلوا أفعال العباد طبيعية اضطرارية كفعل النار للإحراق بطبعها، ومنهم من عد الأشاعرة من الجبرية. **الشهرستاني**، محمد بن عبد الكريم: **الملل والنحل**، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1975م، ج1، ص97.

[3] **المرجئة**: هم الذين أرجأوا العمل عن الإيمان، وزعموا أن الإيمان هو المعرفة القلبية فقط، وقالوا لا يضر مع الإيمان كذب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، والإيمان عندهم شيء واحد لا يزيد ولا ينقص. **الشهرستاني: الملل والنحل**، ج1، ص 161.

[4] **عمارة**، محمد: **تيارات الفكر الإسلامي**، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط2، 1418هـ، ص44.

[5] **مراد**، سعيد: **الفرق والجماعات الدينية في الوطن العربي قديماً وحديثاً**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1427هـ، ص93.

- أصحاب واصل بن عطاء الغزالي[1]، الذي اعتزل مجلس الحسن البصري[2].
- هم الواضعون لدعائم علم الكلام الإسلامي، فبهم تأسس، وبجهودهم تطورت موضوعاته بما أضافوا اليه من مباحث جديدة أثرت موضوعاته، وكان لهم دور رئيس في تطويره، وصياغة مشكلاته[3].
- من أهم الفرق الكلامية، بل تعد أيضاَ مؤسس علم الكلام الحقيقي، بمعنى أن لها نسقاَ مذهبياَ متكاملاَ في علم الكلام، وهم أصحاب النظر العقلي، وكانوا من أوائل الذين وسعوا دائرة المعارف الدينية، بحيث تشمل العقل، ولم يكتف المعتزلة بإدخال عنصر العقل في المعرفة الدينية، بل قدموه على النص، وقالوا بالفكر قبل السمع فأولوا المتشابه من الآيات القرآنية، ورفضوا الأحاديث التي لا يقرها العقل وقدموا العقل لأنه أصل النص[4].

ويمكن تعريفها بأنها: فرقة إسلامية ظهرت في القرن الثاني للهجرة، في البصرة على يد واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد[5]، متأثرة بالمذاهب والفرق التي سبقتها، واتخذوا من العقل مصدراً أولاً لمسائل العدل والتوحيد، وتبحرت في علم الكلام وأرست قواعده. وبعد كل هذه التعريفات التي

---

(1) **واصل بن عطاء:** كنيته أبو حذيفة، من موالي بني ضبة وبني مخزوم، رأس المعتزلة، ومن أئمة البلغاء المتكلمين، سمي أصحابه بالمعتزلة لاعتزالهم حلقة درس الحسن البصري، وهو رئيس المعتزلة وشيخها، ولد بالمدينة ونشأ بالبصرة، وكان يلثغ الراء، وله خطبة منزوعة الراء، توفي في 131هـ. **الزركلي: الأعلام**، ج 8، ص108.

(2) **الجرجاني**، علي بن محمد بن علي: **التعريفات**، تح: نصر الدين التونسي، شركة القدس، القاهرة، ط 1، 2007م، ص 347.

(3) **السيد**، محمد صالح محمد: **مدخل إلى علم الكلام**، دار قباء، القاهرة، مصر، (د.ت)، 2001م، ص219.

(4) **المغربي**، علي عبد الفتاح: **الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة**، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1986م، ص203.

(5) **عمرو بن عبيد:** شيخ المعتزلة في عصره، حيُّ القلب، يعظ فيجيد الوعظ، كان إذا جادل واصلاً هزمه واصل، له رسائل وكتب وخطب ومنها "التفسير"، "الرد على القدرية"، توفي بحرّان قرب مكة، 144هـ. **الزركلي: الأعلام**، ج 5، ص 81.

أدلى بها العديد من المؤرخين المختصين في علم العقائد والأصول الفقهية لا يمكن إلا الأخذ برأيهم لأن جميع تعريفاتهم على وجه من الصحة مع ترجيح الرأي الثالث لأنه الأقرب إلى تعريف المعتزلة الذين رفضوا الاعتراف بكل ما يرفضه العقل وقدموا معرفة العقل على النص القرآني، وقالوا إن ما لا يستطيع العقل إثباته هو مرفوض حتماً فالمعرفة عقلية، وعليه يمكن أن تسمى المعتزلة ب"**العقليون**" الذين اعتمدوا على العقل في كل شيء.

ثالثاً- نشأة المعتزلة:

1- تاريخ ومكان نشأة حركة الاعتزال:

نشأ الاعتزال كمذهب فكري له أصوله في البصرة بالعراق، وذلك في القرن الثاني الهجري، مرد ذلك لكثرة الآراء التي تحدثت عن النشأة، وخير ما يؤيد ذلك قول زهدي جار الله: "لم تعين أصول التاريخ العربي السنة التي ظهر فيها الاعتزال، وكل ما ذكرته أنهم ظهروا في البصرة حول حلقة الحسن البصري، وانشقوا عنها". ومعلوم أن الحسن البصري توفي سنة 110 هـ، وأن الرجلين الذين أسسا مدرسة الاعتزال وهما واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ولدا سنة 80 هـ، ولا يعقل أن تكون حركتهما بدأت قبل العقد الثاني من حياتهما، ومن خلال ما تقدم تكون المعتزلة نشأت في بداية القرن الثاني للهجرة، وعلى وجه التحديد ظهرت في سنة محصورة بين عامي (100-110 هـ)، وهذا ما يؤيده المقريزي[1] من أنهم ظهروا بعد المائة الأولى من سني الهجرة[2]. وتحدث الدكتور رشيد الخيّون عن ظهور المعتزلة، فقال:" ظهرت دعوة الاعتزال في أجواء عراقية والبداية كانت بالبصرة، ثم تأسس فرع لهم في بغداد في بداية القرن السابع الميلادي، أما تسميتهم بالمعتزلة فقد وردت من قبل الخصوم ووافقوا عليها وباركوها"[3]. ومن خلال ما تقدم يمكن استنتاج أن نشأة المعتزلة كانت في البصرة في القرن الثاني للهجرة، وهذا ما ذهب إليه أغلب المؤرخين، ثم ظهر

---

[1] **المقريزي:** أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين المقريزي، مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبك، ونسبته إلى حارة المقارزة، من حارات بعلبك، ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والإمامة والخطابة، من تأليفه كتاب "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار". **الزركلي: الأعلام**، ج1، ص177.

[2] **جار الله**، زهدي حسن: **المعتزلة**، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2002م، ص12.

[3] **الخيون**، رشيد: **معتزلة البصرة وبغداد**، دار الحكمة، لندن، ط1، 1997م، ص7.

لهم فرع أخر في بغداد وكان ذلك في العصر العباسي الأول، إذ اهتم بهم الخليفة المأمون وجعل مذهبهم هو الرائج وسيتم البحث في ذلك في موضع آخر، المهم أن نشأتهم ترجع إلى القرن الثاني الهجري.

2- الروايات في نشأة الاعتزال:

مثل الآراء التي تحدثت عن زمن ظهور الاعتزال، الملحوظ تعدد الروايات واختلافها في تحديد نشأة الاعتزال أيضاً، والأهم ما تم تداوله أن "نشأة المعتزلة كانت عندما اعتزل واصل بن عطاء قول الأمة في حكم مرتكب الكبيرة، ولهذه الحادثة روايتان:

-ما رواه البغدادي: "إن واصل بن عطاء زعم أن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر، وجعل الفسق في منزلة بين منزلتين – بين الكفر والإيمان – فلما سمع الحسن البصري من واصل بدعته التي خالف بها أقوال الفرق التي قبله، طرده من مجلسه.

ولكن لا يمكن ترجيح هذا الرأي، لأن واصل كان من تلامذة الحسن وليس هناك من روايات أخرى ذكرت طرد الحسن البصري لواصل، بل إن أغلبها ذكرت قوله باعتزال واصل وليس طرده وتأنيبه، وعليه تبقى الرواية الأولى ضعيفة وغير مرجحة للأخذ بها، واعتمادها على رغم صحة الرأي بجعل الفاسق في منزلة بين منزلتين.

- الثانية وهي الأهم، ما رواه الشهرستاني[1]: "دخل واحد على الحسن البصري، فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة، وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟ ففكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب، قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلقاً بل هو في منزلة بين منزلتين، لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد، يقرر

[1] **الشهرستاني:** هو محمد بن عبد الكريم، أبو الفتح الشهرستاني، فلاسفة الإسلام، كان إماماً في علم الكلام، وأديان الأمم، يلقب بالأفضل، من كتبه الملل والنحل، نهاية الأقدام في علم الكلام، توفي (548) هـ. **الزركلي: الأعلام**، ج6، ص 215.

ما أجاب به على جماعة الحسن، فقال الحسن البصري: اعتزل عنا واصل، فسمي هو وجماعته باسم المعتزلة"[1]، وهو الرأي المرجح في أغلب الروايات التي تناولتهم، ولا يوجد رأي مناقض لما ذكر فالأرجح أن هذا الرأي هو الأصح باعتبار أشهر المؤرخين للفرق ذكرتهم بتلك الحادثة .

- كما وردت بعض الروايات التي ترد الاعتزال إلى الذين اعتزلوا الخلاف الذي حصل بين علي ومعاوية رضي الله عنهما زمن الفتنة وما بعدها في نهايات العصر الراشدي[2].

رابعاً- أسماء المعتزلة وألقابهم:

1- الأسماء التي أطلقها المعتزلة على أنفسهم:

المعتزلة: بمعنى اعتزال الشر والمعاصي والخطأ وملذات الحياة، إذ رأى المعتزلة أنهم سموا بهذا الاسم، لأنهم اعتزلوا الشر والمعاصي، والظلمة، ويستدلون لقولهم هذا بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ويقول ابن المرتضى: "ويحتجون للاعتزال لفضله وذلك بقوله تعالى: "واعتزلكم وما تدعون من دون الله"[3]. وقوله تعالى: "واهجرهم هجراً جميلاً "[4]. وليس إلا بالاعتزال عنهم، واحتجوا من السّنة بقول النبي ﷺ: "من اعتزل من الشر سقط في الخير". وقوله: "ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أبرها وأتقاها المعتزلة"[5].

وقيل سميت المعتزلة بهذا الاسم: لأنهم اعتزلوا قول الأمة في حكم مرتكب الكبيرة، عندما قرروا أن صاحب الكبيرة في منزلة بين منزلتين (الإيمان – والكفر)، فليس هو مؤمن ولا كافر، بل في

---

[1] **الشهرستاني**، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: **الملل والنحل**، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1980 م، ج ، ص48.

[2] **جار الله: المعتزلة**، ص12.

[3] **سورة مريم**، الآية 48.

[4] **سورة المزمل**، الآية 10.

[5] هذا الحديث غير موجود في كتب السنة ويرجح أن المعتزلة قد احتجوا به لإثبات معتقداتهم.

منزلة بين منزلتين[1]. وقيل سموا بالمعتزلة: لاعتزالهم الحياة الدنيا ومباهجها والزهد فيها، والإقبال على العبادة و طلب العلم.

أهل العدل والتوحيد: لقب المعتزلة أنفسهم بأهل العدل والتوحيد، لقولهم بوجوب الاصلح، وبنفي الصفات القديمة لله تعالى، حيث قالوا: "يجب على الله تعالى ما هو الأصلح لعباده، ويجب عليه أيضاً إثابة المطيع، فهو لا يبخل بما وجد عليه أصلاً، وجعلوا هذا عدلاً، وقالوا بنفي الصفات القديمة القائمة بذاته تعالى احترازاً وجعلوا هذا توحيداً[2].

الوعيدية: وهو ما اشتهروا به من قولهم بإنفاذ الوعد والوعيد لا محالة، وأن الله تعالى لا يخلف في وعده ووعيده، فلا بد من معاقبة المذنب إلا أن يتوب قبل الموت، وللمعتزلة أسماء أخرى مثل المنازلية، والمنزهة، أهل التنزيه[3].

2- الأسماء التي أطلقها غيرهم عليهم:

المعتزلة: بمعنى المنشقين والخارجين عن الأمة، ويدلنا على ذلك قول البغدادي في سبب تسمية المعتزلة بهذا الاسم: "اتفاقهم على دعواهم في الفاسق من أمة الإسلام بالمنزلة بين المنزلتين، وهي أنه فاسق لا مؤمن ولا كافر، ولأجل هذا سماهم المسلمون معتزلون لاعتزالهم قول أمة بأسرها[4]،

---

(1) **القاضي**، عبد الجبار بن أحمد: **شرح الأصول الخمسة**، تح: عبد الكريم عثمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1422هـ، ص86.

(2) **الإسفراييني**، إبراهيم بن محمد: **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**، تح: كمال الحوت، عالم الكتب للطباعة، بيروت، ط1، (د.ت)، ص37. **الإيجي**، عبدالرحمن بن أحمد: **المواقف**، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1997 هـ، ج3، ص 659. **القاضي**، عبد الجبار بن أحمد الأسد: **الأصول الخمسة**، تح: فيصل بدير عون، جامعة عين شمس، الكويت، ط1، 1998م، ص33.

(3) **العواجي**، غالب علي: **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان مواقف الإسلام منها**، دار لينة- دمنهور، ط3، 1418هـ، ج2، ص 1021.

(4) **البغدادي**، عبد القاهر بن طاهر: **الفرق بين الفِرَق**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 1998م، ص114.

لكن لا يمكن اعتماد هذه التسمية خاصة وأنهم قاموا للدفاع عن العقيدة الإسلامية فكيف نطلق عليهم تسمية الخارجين عن الأمة والمنشقين عنها. وقيل سموا بذلك: لأن السلف أطلق عليهم ذلك.

القدرية: إذ أطلق أهل السنة على المعتزلة لقب القدرية، كونهم ينسبونه لأنفسهم وينفونه عن الله تعالى، وقال ابن الجوزي[1]: "ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد الى قدرتهم، وإنكارهم القدر فيها، والمعتزلة يرفضون هذه التسمية وينكرونها، ويردونها الى أهل السنة، ويرجع سبب هذا التراشق بين المعتزلة وغيرهم بلقب القدرية لقوله ﷺ: "القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم"[2].

مخانيث الخوارج: وافق المعتزلة الخوارج في تأييد أن صاحب الكبيرة في النار مع قولهم بأنه موحد وليس بمشرك ولا كافر، ولهذا قيل للمعتزلة أنهم مخانيث الخوارج؛ لأن الخوارج لما رأوا لأهل الذنوب الخلود في النار سموهم كفرة وحاربوهم، والمعتزلة رأت لهم الخلود في النار ولم تتجرأ على تسميتهم بالكفرة، ولا صبرت على قتال أهل فرقة منهم[3].

الثنوية[4] والمجوسية: قال المقريزي: "إن المعتزلة يدعون الثنوية لقولهم بأن الخير من الله والشر من العبد". وكان المعتزلة الأقدمون يقولون: إن الله تعالى يخلق الخير وأن الشيطان يخلق الشر، ولما كان هذان القولان يشبهان قول الثنوية المجوسية، فإن المعتزلة اكتسبوا علاوة على ذلك وعلى

---

(1) **ابن الجوزي:** يوسف بن عبد الرحمن بن علي الجوزي، محيي الدين، أبو المحاسن، القرشي، التميمي، من أهل بغداد، ت 656هـ . **الزركلي: الأعلام** ، ج 8، ص236.

(2) **المجوس:** ديانة قديمة، تقوم على إثبات أصلين هما الظلمة والنور، إلا أنهم زعموا أن الأصلين لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين بل النور أزلي والظلمة مستحدثة، وهنا يظهر تخبط المجوس. **الشهرستاني: الملل والنحل،** ج1، ص232.

(3) **أبو لبابة،** حسين: **موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها،** دار اللواء، الرياض، ط2، 1407هـ، ص14.

(4) **الثنوية:** ديانة سبقت الإسلام، يزعم أصحابها أن للعالم إلهين قديمين، هما النور وهو مبدأ الخيرات والظلمة وهو مبدأ الشر. **الشهرستاني: الملل والنحل،** ج1، ص243.

أسماءهم، اسم المجوس فسموا بمجوس الأمة الإسلامية. وللمعتزلة اسماء أخرى مثل: الحرقية، اللفظية، المنفية، القبرية، المبتدعة[1].

خامساً- عوامل ظهور المعتزلة وانتشار أفكارهم:

بعدما تمت دراسة أصل المعتزلة وبعض أسمائهم وتاريخ ومكان ظهورهم، سيتم عرض ما تيسر من العوامل التي ساعدت على ظهورهم وانتشار أفكارهم:

1- حل مشاكل الخلاف بين المسلمين:

بعدما توقفت الفتوحات، واستقر المسلمون في الأمصار التي تم فتحها، نشأت مشاكل لابد من إيجاد الحلول لها وفقاً للتشريع الإسلامي، ومنها مشكلة مجرمي الأمة، أو ما يدعون مرتكبي الكبائر ما دون الشرك، فتفرق المسلمون أحزاباً ووقعوا في صراع دموي حتى في زمن الفتنة بين علي ومعاوية ﷺ، ومن قبلها بين علي ﷺ وأصحاب الجمل، وعندها راح المسلمون يكفر بعضهم بعضاً وانشغلوا عن الفتوح بتبادل السباب، يضاف إلى ذلك، أن المسلمين مع زيادة الفتوح انتقلوا من محيط ضيق إلى محيط واسع فيه كثير من ضروب اللهو والترف وأسباب الفساد، فعز ذلك على القوم، وساءهم أن يروا إخوانهم المسلمين يتجرأون على المعاصي، فعكفوا على دراسة هذه المشكلة، وأصدروا أحكاماً عليها مستمدة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فكثرت بسبب ذلك المناظرات واشتهرت المجادلات واختلاف الرأي[2]، وكان أهل السنة والجماعة يرون أن مرتكب الكبيرة ما دون الشرك مؤمن، فكبيرته لا تخرجه من الإيمان ولا تدخله في الكفر، لبقاء التصديق الذي هو حقيقة الإيمان، ولكنه يعاقب عليها ويستدلون بأقوال منها: النصوص الناطقة بإطلاق المؤمن على المعاصي كقوله

---

[1] **أبو لبابة: موقف المعتزلة من السنة النبوية**، ص14.

[2] **المعتق**، عواد بن عبد الله: **المعتزلة وأصولهم الخمسة ومواقف أهل السنة منها**، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط2، 1995 م، ص30.

تعالى: "يا أيها الذين أمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى"[1]، وقوله تعالى:" يا أيها الذين أمنوا توبوا الى الله توبة نصوحة"[2].

أما الخوارج رفضوا حكم أهل السنة في مرتكب الكبيرة وجعلوه كافراً مخلداً، لأنهم لا يعتبرون الإيمان تاماً بدون العمل، إذاً كان على كل فريق إثبات معتقداته وإبراز صحتها فالمعتزلة والخوارج والمرجئة وغيرهم من الفرق حاولوا تقديم الدلائل المؤيدة لأفكارهم معتقدين أنها السبيل الوحيد في خلاص الأمة من مشاكلها التي نجمت عن الاختلاف العقائدي إلا أنها كانت على العكس تماماً، أضرمت نار الحقد والضغينة بين تلك الفرق، وأصبحت كل فرقة إن لم يقال تكفر الأخرى، تنظر إليها نظرة الازدراء والتهكم والبغض والكراهية والحقد وهذا ما طبع العالم الإسلامي بذلك الطابع فترة ظهور تلك الفرق، وللأسف مازالت المعاناة من الأثر المتروك حتى الأن وفي زماننا الحالي، وبقيت الحزازات في النفوس كل يحاول التفوق على الأخر بإبراز صحة معتقداته وأفكاره وإثبات أخطاء الطرف المقابل، وليت أن الأمر وقف عند هذا الحد ولم يتجاوزه الى حد التكفير والتشهير.

2- مناصرة بني العباس لهم:

كان ظهورهم في العصر الأموي، وأدركوا نقطة ضعف الفرق التي ظهرت قبلهم كالقدرية الذين تعرضوا لنقمة الخلفاء الأمويين والذين تتبعوهم بالقتل والتشريد، لذلك علموا أنه لا بقاء لهم مالم يجدوا قوة كبيرة تساندهم وتشد أزرهم فخطر لهم الاستعانة بالسلطة الحاكمة، واستمالتها إلى جانبهم، فيتمكنون بذلك من العيش أمنين، ويبرزون آراءهم بلا خوف ولا وجل، فتم لهم ما أرادوا لكن بعد جهاد طويل دام ما يقارب قرن من الزمن، فألقوا على الخليفة شباكهم، فنراهم حاولوا الالتفاف حول الخلفاء وكان منهم الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك، حيث "كان اليزيد قدرياً"، كما والتفوا حول

[1] سورة البقرة: الآية 178.

[2] سورة التحريم: الآية 8.

أخر خليفة أموي، إذ قال ابن الأثير: "إن مروان بن محمد يلقب بالجعدي، لأنه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه فيخلق القرآن، ونفي القدر، فكان الناس يذمونه بنسبه الى الجعد"[1].

وبما أنهم لم ينجحوا في ذلك في العصر الأموي إلا أنهم غرسوا تلك البذرة في أنفسهم وبقيت حتى نبتت وأثمرت حيناً من الزمن وهو الزمن الذي ابتدأ معه حكم العباسيين، إذ أخذ المعتزلة يظهرون على مسرح الحياة السياسية والفكرية لأن عمرو بن عبيد كان صديقاً للخليفة العباسي أبو جعفر المنصور(136-158هـ/754-775م)، أما في زمن المهدي ابن المنصور(158-169هـ/775-788م)، لم يكن للمعتزلة الدور الكبير لأنه كان شديداً على الزنادقة والمخالفين، فقد جد في سنة 167هـ في طلبهم.

أما في عهد هارون الرشيد (170-193هـ/786-809م) تغير حالهم وأصبح صوتهم مسموعاً حتى أن الرشيد قرّب بعد رجالاتهم، ورغم ذلك فإن المعتزلة لم يجسروا على نشر مقالتهم والجهر بآرائهم، لأن ابن الرشيد كان متشدداً في أمور الدين، وفي خلافة **الأمين** (193-198هـ/809-813م): انكمش نفوذهم لأنه كان أشد من أبيه في مسائل الدين، أما في عهد المأمون الذي بدأ (198-218هـ/13-833م)، يلاحظ أن دور عزهم بدأ وبدأت معه قوتهم، إذ عد نفسه من المعتزلة فقربهم وشايعهم، وجعل منهم أقربائه ووزراء لديه، وعقد المناظرات فيما بينهم وما بين الفقهاء لينتهوا إلى رأي متفق عليه، واستمر ذلك حتى سنة 218هـ/833م، وهي السنة التي توفي فيها، إذ تم إجبار الناس على اعتناق مذهب الاعتزال، والأخذ بأفكارهم وأحكامهم وأهمها أن القرآن مخلوق، وهذا العامل بلا شك من أهم العوامل التي ساعدت المعتزلة في نشر آراءهم وأفكارهم بسرعة وتشعبها وجعل لهم مكانة في المجتمع، وأضيفت إلى آراءهم أفكاراً لم تكن موجودة من قبل[2].

3- الدفاع عن الدين الإسلامي:

---

[1] **ابن الأثير**، محمد بن عبد الكريم: **الكامل في التاريخ**، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ج5، ص171. **المصري**، جمال الدين: **سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون**، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، الدار الثقافية، القاهرة، مصر، (د.ت)، (د.ط)، ص53.

[2] **الذهبي**، محمد بن أحمد بن عثمان: **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، مج2، ص 202. المعتق: **المعتزلة وأصولهم الخمسة**، ص45.

من المؤكد أنه دخل في الإسلام طوائف مختلفة من المسيحيين واليهود والمجوس وغيرها، وهذه الطوائف لم يكن من السهل أن تتخلى عن أفكارها ومعتقداتها التي أصبحت تجري في نفوسهم مجرى الدم، لاسيما أن الكثيرين منهم دخلوا الإسلام إما رهبةً أو لقاء نفع دنيوي، وأخذ فريق من هؤلاء ينشرون بين المسلمين ما يشككهم في عقائدهم، وما يقصد من هذا الكلام هم اليهود الذين شكلوا خطراً على الإسلام منذ بداية الدعوة الإسلامية على يد النبي ﷺ إذ قال الله تعالى:" لتجدن أشد الناس عداوةً للذين أمنوا اليهود والذين أشركوا"[1]. فهم بلا شك العدو الألد للإسلام، ونتج عن هذه المحاولات التي قاموا بها ظهور فرق كالمجسمة الرافضة، ومن هنا كان لابد للمعتزلة الذين خاضوا في علم الكلام وتعرفوا على ثقافات غيرهم من الرد عليهم والدفاع عن العقيدة الإسلامية، وبالاعتقاد أن هذا الأمر يفسر دفاع جولد تسيهر عن المعتزلة ومحاولته إبراز حسن سيرتهم، وأنهم كانوا بحق المدافعين عن الدين الإسلامي من التشويه وإدخال العقائد الغريبة عليه[2]، وهذا الدور الذي قام به المعتزلة له أثراً بالغاً في انتشار أفكارهم وشهرتهم وتبني آراءهم من قبل العديد من الناس ومن بينهم بعض الخلفاء العباسيين كالمأمون الذي تقدم ذكره.

سادساً- مبادئ مذهب الاعتزال وأصوله:

1- مبادئ مذهب الاعتزال:

بما أن مذهب الاعتزال قائم في الأساس على العقل، وعلم الكلام والجدل، والفلسفة، وترك آثاره ولمسته الواضحة والعميقة على التراث الفكري للمعتزلة، وخصوصاً الجانب الأدبي منه، وسيتم عرض أهم المبادئ والأصول التي قام عليها مبدأ الاعتزال، إذ قام مذهب الاعتزال على خمسة مبادئ وأصول أساسية لابد من توافرها جميعها في الشخص حتى يعد معتزلياً دون زيادة أو نقصان، أهمها:

- **التوحيد:**

---

[1] سورة المائدة، الآية 82.

[2] **تسيهر جولد**، إيجناتس: **العقيدة والشريعة في الإسلام**، تح : محمد يوسف موسى ، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، (د.ط)، ص140.

يعد هذا الأصل من أهم الأصول التي قام عليها مذهب الاعتزال، فهم يعدون أنفسهم من أشد الطوائف الإسلامية إيماناً بالتوحيد ودفاعاً عنه إزاء المذاهب والديانات المشركة التي تعتقد بوجود أكثر من وجود إله واحد، وذلك من خلال مناظراتهم وكتبهم ورسائلهم المتعمقة والواسعة التي ألفوها في هذا المجال للرد على أصحاب تلك العقائد والديانات، ونتيجةً لتشددهم في أصل التوحيد فقد نفوا أن يكون لله تعالى صفات غير ذلك، كما أولوا الآيات القرآنية التي يفيد ظاهرها أن الله تعالى يتجسد يوم القيامة، ونفوا الرؤية نفي استحالة، وحكموا بكفر من يقول بها[1]، وبما أن المعتزلة قاموا على توحيد الله تعالى وعرفوا بهذا المبدأ لماذا ينكرون صفات الله تعالى وهو جل جلاله أطلقها على نفسه في القرآن ودعا الناس إلى دعاؤه بها؟ ويعتقد أن هذا خطأ فادح وقع به المعتزلة وألّب الناس عليهم وجعل هذا الأمر مأخذٌ عليهم.

وأجاد الشهرستاني في وصف عقيدة المعتزلة بشأن التوحيد، ونفي الصفات عن الذات الإلهية ونظراً لشمولية وصفه ودقته لابد من ذكره: "فالذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد بأن الله تعالى قديم ، والقدم أخص وصف لذاته تعالى، وقالوا هو عالم بذاته، حيٌّ بذاته، لا بعلم وقدرة وحياة، وهي صفات قديمة ومعان قائمة به، لأنه لو شاركته في القدم لشاركته في الألوهية، واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى في دار القرار، ونفي التشبيه عنه"[2]، وبناءً على هذا الوصف يتضح أن المعتزلة أرادوا نفي أي صفة عن الله تعالى عدا صفة التوحيد وهذا ما عرفوا به أهل التوحيد.

- **العدل:**

يأتي هذا الأصل في الدرجة الثانية في الأهمية بعد التوحيد من ناحية اهتمام المعتزلة به وتوسعهم فيه، وكتاباتهم للدراسات والبحوث المستفيضة حوله، صحيح أنهم يتفقون في هذا الأصل مع سائر الفرق الإسلامية؛ إلا أن هناك موضوعات كثيرة ومتشعبة طرحوها حول أصل التوحيد، وكان لها أثر كبير في مجادلاتهم ومناظراتهم، ومن تلك المسائل والقضايا التي أثارها المعتزلة فيما يتعلق بمبدأ العدل، هي مسألة **القدر** وهل الإنسان مخير في أفعاله أم مسير؟ وقالوا أن الإنسان

---

[1] **الشهرستاني**، محمد بن عبد الكريم: **نهاية الإقدام في علم الكلام**، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ، ص312.

[2] **الربيعي**، فالح: **تاريخ المعتزلة فكرهم وعقائدهم**، الدار الثقافية للنشر ،القاهرة ، مصر، ط1، 2001م، ص43.

يمتلك الاختيار وحرية الإرادة في أفعاله، وذلك القول بأن الإنسان مجبر في أفعاله يستلزم– حسب رأيهم– نسبة الظلم الى الله تعالى، فما كان الله تعالى ليحاسب عبداً فيثيبه ويعاقبه على شيء مجبر على فعله[1]. وكان من بين القضايا التي أثارها المعتزلة فيما يتعلق بأصل العدل الإلهي قضية **الحسن والقبح** وهل هما أمران نسبيان أم ذاتيان؟ وعلى ضوء إيمان المعتزلة المطلق بالعقل، توصلوا إلى أن تحديد الحسن والقبح هو أمر موكل بالعقل، وبالتالي توصلوا إلى أن حسن وقبح الأشياء هما أمران ذاتيان– أي حسب عقل كل إنسان فما يراه إنسان جميلاً قد لا يراه الآخر جميلاً– والذي يهم هو إيمان المعتزلة المطلق بدور العقل في استنباط الأحكام، ومجمل القول أن المعتزلة انطلاقاً من مبدأ العدل، قالوا أن الإنسان مخير في أفعاله ولو لم يكن مخير لما أوجب الله تعالى الثواب والعقاب، والحق أن هذا الرأي والتوجه يملك من الصحة ما يدعو إلى الأخذ به ويؤيد ذلك قول الله تعالى: "من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره"[2]، وعليه فإن فعل الخير يثاب عليه الإنسان وفعل الشر يعاقب عليه الإنسان.

- **الوعد والوعيد:**

وهو متفرع من الأصل الثاني العدل، ولا يختلفون كثيراً في تفسيره عما سبقهم من الفرق الإسلامية، إلا أن الشفاعة غير موجودة فهم ينفونها، على اعتبار أنها تتنافى مع الوعد والوعيد، لذلك أولوا الآيات التي ظاهرها إثبات الشفاعة، وتمسكوا بالآيات التي تفيد نفيها، وأما بالنسبة إلى مرتكب الكبيرة وحكمه الآخر، قرروا أنه مخلد في النار استناداً إلى الوعيد الإلهي، إلا أن عذابه أخف من عذاب المشرك والكافر نظراً لأنه فاسقاً من وجهة نظرهم وليس بمشرك ولا كافر[3]، إذاً انطلاقاً من مبدأهم الثالث فإن الوعد والوعيد الإلهي بالعقاب والثواب جعلهم ينفون فكرة الشفاعة لأن اعتقادهم بها سوف يلغي هذا المبدأ الذي قالوا به، لكن الله عز وجل وعد الرسول بالشفاعة لأمته وهذا ما تتفق عليه أغلب الأمة الإسلامية.

- **المنزلة بين المنزلتين:**

---

[1] **الأندلسي**، ابن حزم علي بن أحمد: **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تعليق: محمد بن عبد الكريم، المطبعة الأدبية، القاهرة، مصر، 1996 م، ج3، ص 103.

[2] القرآن الكريم، سورة **الزلزلة**، الآية 7–8.

[3] **الربيعي: المعتزلة**، ص45.

وكما مر فإن هذا الأصل هو الذي ميز المعتزلة عن غيرهم من الفرق، وهو الذي ارتبط بظهورهم و نشأتهم، إذ اتخذوا خلاله موقفاً وسطاً بين المرجئة والخوارج، وخير ما يمثل ذلك هو المناظرة التي جرت بين واصل بن عطاء وصديقه عمرو بن عبيد، إذ تجلى طبيعة الموقف المحايد والوسط الذي اتخذه المعتزلة بهذا الخصوص، إذ قال واصل: "سمي مرتكب الكبيرة فاسقاً لاتفاق أهل الإسلام على هذه التسمية، فالخوارج يسمونه مشركاً فاسقاً، والشيعة يسمونه كافراً بنعمة فاسق، والمرجئة تسميه مؤمناً فاسقاً، فاجتمعوا على تسميته فاسقاً، واختلفوا فيما عدا ذلك من اسمائه، فالواجب أن يطلق عليه الاسم الذي اتفقوا عليه وهو الفسق، فيكون صاحب الكبيرة فاسقاً، ولا يقال إنه مؤمن ولا منافق ولا مشرك فهذا أشبه بأهل الدين"[1].

ويرجح أن تسمية الفاسق التي اعتمدوا إطلاقها على مرتكب الكبائر ليست على الوجه الأصح لأن لا أحد يستطيع أن يطلق تعميماً على الأشخاص ويمكن لهذا الشخص الذي ارتكب الكبيرة أن يتوب، وعليه لا يجوز أن يتم إطلاق الأحكام بمجرد فعل خاطئ والإنسان بطبعه الخطأ، فمعنى ذلك بالنسبة لديهم أن الناس كلهم فاسقين عدا الأنبياء والرسل بحكم عصمتهم من الله تعالى، وعلى ما تقدم يرجح أن تسمية المعتزلة وغيرهم من الفرق للفاسق بهذا الاسم ليس بالمعنى الأصح ويكمن إيجاد الكثير من التعابير التي تكون أخف حدى من تسمية الفاسق، لأنه غالباً ما يتم إقران اسم الفاسق بالفاجر والفجور صفة من لادين له، وعلى ذلك لا يمكن أن نقرن الفاسق بالفاجر بل يجب إيجاد تعبير يكون خفيف الوقع والأثر على النفس.

- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

هذا الحكم اتفق على وجوبه جميع المسلمين، إلا أن المعتزلة لم يصلوا به إلى درجة أنه أصل من أصول الدين، في حين ترى الفرق الإسلامية الأخرى أنه يمثل فرعاً من فروع الدين، مع اختلاف في وسائل تطبيقه، فالمعتزلة يرون وجوب استعمال السيف في تطبيق هذه الفريضة، بالإضافة إلى وسائل اليد واللسان والسيف[2]، لكن مثل هذا الرأي لن يلقى التأييد وخاصة أن الإنسان لا يحتمل الإكراه على أمر، وبناءً على ذلك لا بد من أن يكون هذا الأمر نابعاً من النفس البشرية لوحدها،

---

[1] **الربيعي: المعتزلة**، ص50.

[2] **الأشعري**، أبو الحسن: **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تح: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، القاهرة، 1990م، ج1، ص250.

أما بقية الفرق الأخرى قالت بتطبيقه وذلك بطرائق مختلفة عن طريقة المعتزلة، ومهما يكن من أمر فالملحوظ أن هذا المبدأ نادت به جميع الفرق الإسلامية، على الرغم من توجه كل من هذه الفرق إلى تطبيقه بالطريقة التي تراها مناسبة، ولا أحد يستطيع أن ينكر مدى أهمية هذا المبدأ في الدين الإسلامي وأنه أصل من أصول الدين، والدليل هو إجماع كل الفرق على اختلاف معتقداتها على هذا الأمر، بمعنى أن هذا الأمر متفق عليه عند كل الفرق الإسلامية، ولو لم يكن بهذه الأهمية لما وجد هذا الاتفاق[1].

2- الأمور التي اتفق عليها المعتزلة:

اجمع المعتزلة على نقاط غاية في الأهمية اتفقوا عليها، وجعلوها عنواناً عريضاً لهم قل ما نجد شخصاً معتزلياً أو اعتزالياً لا يقر بهذه النقاط التي أضحت عندهم قوانين لابد من التقيد فيها وهي:

1. نفي صفات الله تعالى عنه، وكما مر سابقاً اعتقدوا أنه لطالما كانت صفات الله تعالى موجودة معه، فهي حتماً دون شك تشاركه في الألوهية وهم أول من قال بتوحيد الله تعالى وجعلوا أول مبادئهم مبدأ التوحيد وهذا طبعاً يتنافى مع مبدأهم فعليه من الواجب إنكار تلك الصفات عن الله تعالى.
2. كلام الله تعالى مخلوق، وهذا الأمر شكل لهم العديد من المشاكل والاختلاف مع الفرق الأخرى، إلا أنهم من المرجح انطلقوا من أن كل شيء في الوجود مخلوق لله تعالى وعليه فلا يمكن أن يكون سوى الله تعالى خالق كل شيء وعليه قالوا بنظرية خلق القرآن.
3. أفعال العباد مخلوقة لهم، وأفعال الحيوانات خارجة عن قدرة الله تعالى– لارتباط ذلك بالعدل الإلهي – وبالتاي الحيوانات لا تحاسب عندهم، والإنسان هو الذي يحاسب على أفعاله التي يفعلها بحريته واختياره.
4. حال الفاسق منزلة بين منزلتين– أي بين الكفر والإيمان – وهذا ما تم شرحه مسبقاً.
5. وجوب كثير من الأشياء على العباد من غير أن يكون من أمر الله تعالى فيه مثل: النظر، الاستدلال، وشكر المنعم، بمعنى أن هناك العديد من التصرفات التي تكون من تلقاء نفس

[1] **الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، ج1، ص250.

الإنسان ولا دخل للقدر فيها مثل شكر النعم هذه الصفة التي تختلف من شخص لأخر حتى دون أن يكون للإنسان شأن في وجودها.

6. إنكار مفاخر زائدة لرسول الله ﷺ، زائدة على الأنبياء مثل: الشفاعة والمعراج، وبرهنوا ذلك أنه لو وجبت الشفاعة فإن العدل الإلهي سيكون حتماً لا وجود له والله تعالى لا يخلف الميعاد.
7. إنكار عذاب القبر[1]، وذلك لأنه لو وجد عذاب القبر فإن الله تعالى لن يقوم بتعذيب الكافر أو الفاسق مرتين وعليه فإن عذابه سينتهي بمجرد أن تم تعذيب الكافر في القبر وهذا أيضاً يخالف ما ذهبوا من خلود الكافرين في النار، والمتقين في الجنة.

هذه الأمور ميزت المعتزلة عن غيرهم من الفرق الإسلامية، وكانت نقاط هامة جداً في تاريخهم، إذ لم يعتبروا أن الإنسان معتزلياً إلا إذا توافرت فيه هذه الشروط والمبادئ، وبالتعليق على هذه المبادئ يرجح أن بعض هذه المبادئ يحمل وجهاً من الصحة وبعضها الأخر لا يمكن الإقرار به كون الشرع الإسلامي والسنة النبوية الشريفة يعارضان ما قالوا به وخاصة فيما يتعلق بإنكار المفاخر الزائدة على الرسول ﷺ.

سابعاً- أهم فرق المعتزلة:

- **الواصلية:** أصحاب أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال- الألثغ الذي كان يلثغ حرف الراء- من تلاميذ الحسن البصري، ولم يفارقه إلى أن أظهر مقولته في المنزلة بين المنزلتين، ولد سنة 80هـ، ونشأ على الرق، وكان أول ظهوره في العصر الأموي، اتصف بسعة المعرفة، وهو الذي نقل حركة الاعتزال من الفوضوية إلى التنظيم والاحتراف[2]، مؤسس فرقة الاعتزال، وتوفي 131هـ، وهو الذي وضع الأصول الخمسة التي يرتكز عليها الاعتزال[3]، وجعل الشهرستاني اعتزال هذه الفرقة يدور حول أربع قواعد.

---

[1] **زكار**، سهيل وخربوطللي، شكران: **الحضارة العربية الإسلامية**، منشورات جامعة دمشق، سورية، 1431هـ /2010م، ص269.

[2] **زكار: الحضارة العربية الإسلامية**، ص272.

[3] المعتق: **المعتزلة وأصولهم الخمسة**، ص54.

- **الهذيلية:** أصحاب أبي الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف، شيخ المعتزلة بعد واصل بن عطاء، ولد سنة 135هـ، وتوفي سنة 226هـ، اطلع على الفلسفة اليونانية فجاءت أقواله متأثرة بها، وانفرد عن أصحابه بعدة مسائل[1].
- **النظامية:** أصحاب ابراهيم بن سيار بن هاني النظام، سمي بهذا الاسم لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة، ولد 185هـ، وتوفي 231 هـ، خالط ناساً من كبار الملاحدة، عاشر في شبابه قوماً من الثانوية والسمنية الذين قالوا بتكافؤ الأدلة، واتصل بهشام بن الحكم الرافضي فأخذ عنه وعن ملاحدة الفلاسفة، وأعجب بقول البراهمة بإبطال النبوات، وأنكر إعجاز القرآن ومعجزات الرسولﷺ، والأخطر من هذا كله أنه توصل إلى إنكار نبوة الرسول محمدﷺ [2].
- **البشرية:** أصحاب بشر بن المعتمر، وكان من أفضل علماء المعتزلة، أحدث مسألة (التولد) وأفرط بالقول فيها، فقد زعم أن اللون والرائحة والطعم والإدراكات كلها من السمع والرؤية يجوز أن تحصل متولدة من فعل العبد، إذا كانت أسبابها من فعله.
- **المعمرية:** أصحاب معمر بن عباد السلمي، اشتهر بتشدده وتعصبه للقدرية، ولفكرة نفي الصفات، كان رأساً من رؤوس الضلال، ومن أعظم القائلين بنفي الصفات عن الذات الإلهية، ونفي القدر خيره وشره عن الله تعالى، وهو من طبقة أبي الهذيل العلاف، توفي سنة 220هـ .
- **الهشامية:** أصحاب هشام بن عمرو الفوطي، وقد بالغ بالقدر أكثر من سواه، توفي سنة 226هـ[3]، وقد ذكره ابن المرتضى في أخر من ذكر من الطبقة السادسة، وكان مبالغاً في القدر أكثر من أصحابه، يمتنع من إضافة أفعال إلى الباري عز وجل.

---

[1] **الشهرستاني: الملل والنحل**، ج1، ص54.

[2] المعتق: **المعتزلة وأصولهم الخمسة**، ص54.

[3] **زكار: الحضارة العربية الإسلامية**، ص272.

- **الجبائية والبهشمية:** أصحاب أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي، وابنه أبي هاشم عبد السلام، وقد انفرد بمسائل خاصة، وتتلمذ عليهما الإمام الأشعري، ثم انقلب على معتقدهما وهاجم الاعتزال ووجه إليهما أعظم ضربة فكرية[1].

ثامناً– أثر المعتزلة في الفكر الإسلامي بصورة عامة:

لا يمكن إنكار دور المعتزلة وأثرهم الفاعل في تحرير الفكر العربي الإسلامي من الجمود، واتباع الأساليب التقليدية في النقاش والحوار، والاكتفاء بالنصوص القرآنية والأحاديث وحدها في الرّد على معارضي الفكر العربي الإسلامي من مشككين، وزنادقة وملاحدة الذين كان المجتمع العربي الإسلامي يعجُّ بهم أثناء فترة الحكم العباسي نتيجةً لاختلاط المجتمع الإسلامي بعناصر عديدة من الأمم والشعوب الأخرى التي حملت معها معتقداتها، ومبادئها، وأفكارها، ونشاط حركة الترجمة من تراث تلك الأمم والشعوب، وذلك فإن المذهب السني بأساليبه التقليدية لم يكن وحده كافياً، ويروى في هذا المجال أن الشافعي قال : "إن وجدتم السنة فاتبعوها، ولا تلتفتوا إلى أحد". فكان موقفهم هذا الذي ظهر بدافع الدفاع عن الدين الإسلامي في البداية موقفاً جيداً بعد محاولاتهم الحفاظ على العقيدة الإسلامية وقد برز دورهم من خلال عدة نقاط كانت أساسية وعظيمة ولها دور فعال في سبيل تحقيق ما أرادوا تحقيقه، وفيها برز فيها دور المعتزلة وتأثيرهم على الفكر الإسلامي وهي:

1- **دور المعتزلة في التوفيق بين العقل والسنة:** كان للمعتزلة دور كبير في التوفيق بين العقل والسنة، وبين الفكر الإسلامي الأصيل وبين المعطيات الفكرية للثقافات والحضارات الأخرى، وخصوصاً الحضارة اليونانية. إذ اكتشفوا أن الطريق الأمثل للدفاع عن المعتقدات الإسلامية، هو معرفة الأساليب العقلية، والمنطقية، والفلسفية لتلك الثقافات والحضارات في إثبات صحة أسسها ومبادئها، وتمثل تلك الأساليب وتوظيفها في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وتقديمها في صورة مقبولة ومقنعة الى حملة المعتقدات والديانات الأخرى[2].
2- **جهاد المعتزلة في نشر العقيدة الإسلامية:** إذ تسلح المعتزلة بنفس السلاح الفلسفي والمنطقي الذي تسلح به أعداء الدين الإسلامي من الزنادقة والملحدين، وهو ما أبرزته لنا كتب التاريخ،

---

[1] **الربيعي: المعتزلة**، ص20.

[2] **البغدادي: الفرق بين الفِرَق**، ص340.

ويروى أن أبو الهذيل العلاف، من أشد رجال المعتزلة صلابة عود، وقوة وحجة، وأكثرهم دأباً للرد على المعاندين، ومناظرة المخالفين، عرف عنه أنه ألف ستين كتاباً يبطل فيها حججهم، ويفند أقاويلهم وينقدها، وشهد له صالح بن عبد القدوس بالبراعة، وقوة الحجة حينما ناظره، وهكذا كان الحال بالنسبة إلى زعماء المعتزلة الأخرين مثل: واصل بن عطاء، وثمامة بن أشرس، وبشر بن المعتمر، والجاحظ، والنظام وغيره[1].

3- **خدمات المعتزلة للفكر الإسلامي:** يمكن تلخيص الخدمات التي قدمها المعتزلة للفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية والتأثيرات التي تركوها فيها فيما يلي:

- ❖ أسهموا بنق لتراث وثقافة اليونان من منحاها العقلي والفلسفي إلى الحضارة العربية الإسلامية، وذلك بعد أن تم اطلاعهم على هذه الثقافة وتمثلهم لمعطياتها العقلية والفلسفية.
- ❖ كان لهم الفضل الأكبر في الجمع بين الدين والفلسفة، إذ بدت استحالة الجمع بينهما، وخصوصاً من وجهة نظر أهل السنة الذين يرون في النزعة الفلسفية نوعاً من الزندقة والخروج عن قواعد الدين الإسلامي[2].
- ❖ إرساء المعتزلة لدعائم حركة عقلية واسعة كانت لها أكبر الأثر في صياغة الحضارة الإسلامية نظراً إلى أن مذهبهم كان يقوم على احترام العقل وتمجيده، والتعويل عليه في استنباط واستنتاج الكثير من الأحكام الشرعية من جهة، وأساليب التفكير السليم من جهة أخرى، ويكفي دليلاً على ذلك ما يقوله جولد تسيهر: "نحن لا نستطيع نكران أنه كان لنشاط المعتزلة نتيجة نافعة، حيث جعلوا العقل ذا قيمة حتى في مسألة الإيمان، وهذا هو الفضل الذي لا يجحد والذي له اعتباره وقيمته، والذي جعل لهم مكاناً في تاريخ الدين والعقيدة الإسلامية "[3].
- ❖ نتيجةً لاعتماد المعتزلة على العقل كمرجح أساس في استنتاجاتهم واستنباطاتهم وأحكامهم، ونتيجةً لعدم جمودهم على النصوص، فقد لعبوا دوراً كبيراً في إشاعة أجواء حرية التفكير، والعقل، ويلاحظ هذا الاتجاه بشكل واضح في عصر المأمون وفي القرن الرابع الهجري كما

---

[1] **الربيعي: تاريخ المعتزلة**، ص23.

[2] **البغدادي: المصدر السابق**، ص340. **الربيعي: تاريخ المعتزلة**، ص23.

[3] **تسيهر** جولد: **العقيدة والشريعة في الإسلام**، ص140.

ذكرنا سابقاً، وعليه ارتفعت قيمة العقل والتفكير في ذلك العصر الذي ظهر فيه المعتزلة وازدادت في العصر العباسي.

- ❖ لقد بلغت هذه النهضة العقلية التي أرسى المعتزلة دعائمها حداً من العمق والتأثير والاتساع بحيث إنها تركت أثاراً حتى على أهل السنة ، وقد تجلى ذلك التأثير عند الأشاعرة ،رغم عنادهم للمعتزلة ، وحربهم الفكرية ضدهم ، وانضمام الكثير من أهل السنة إلى صفوقهم ، وكانوا في البحوث الكلامية يتأثرون بالمعتزلة الى حدٍ كبير[1].

تاسعاً- أسباب اضمحلال المعتزلة وتدهور آرائهم:

إن الأسباب التي أودت بالمعتزلة كثيرة ومتنوعة منها ما يعود الى طبيعة مذهبهم، وطريقة تطبيقهم لأفكارهم، ومنها ما يعود إلى تعقب أهل السنة لهم وإبراز انحرافاتهم، ومنها:

1- بعدهم عن تطبيق معتقدهم في الإيمان:

غالى المعتزلة في القول بدور العقل وجعلوه شرطاً في ثبوت صحة الإيمان، إلا أن أعلامهم كانوا أول من مال عن هذا الركن الأساسي، بل تجاوزوه إلى الهزء في بعض الشعائر، وبلغ بهم الأمر إلى تناول الرسول ﷺ بما لا يليق بمقامه السامي، إذ وردت روايات أن معظم أعلامهم تجرأوا على المعاصي وشرب المسكرات وأن أحدهم كان يرى في الطهارة أنها غير واجبة، وأن أحداً منهم واسمه ثمامة كان يتثاقل في صلاته ولا يؤديها، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مدى استهتارهم بمبادئ الدين الإسلامي، وشعائره[2].

2- كثرة اختلافاتهم :

عجّل بانقراض المعتزلة كثرة خلافاتهم التي تعود إلى تنوع مصادرهم، وتضاربها وإلى تعويلهم على العقل الذي قدموه على النص والقرآن والسنة وجعلوه رائدهم وإمامهم، وتنوعت آرائهم في تفسير أي مسألة حتى أن عبارة "خلافاً للمعتزلة" تكاد تتصدر كل المسائل التي تناولت المعتزلة بالبحث، وبلغ

---

[1] **الربيعي: تاريخ المعتزلة**، ص27.

[2] **البغدادي: الفرق بين الفرق**، ص191.

التنافر والاختلاف الحد الذي جعل يكفر بعضهم بعضاً، وأكثر زعمائهم يكفر التابعين لهم، إذ بدت كثرة خلافاتهم في مؤلفاتهم التي انبرى فيها كل طرف يسفه الآخر ويكشف عن مساوئه[1].

3- مقاومتهم الفكرية:

تولى أهل السنة والجماعة مقاومة المعتزلة فكرياً، وذلك من خلال تأليف المصنفات التي تكشف ما وقعوا فيه من خروج عن الشريعة الإسلامية، وعن إجماع المسلمين، وإبراز ما وقعوا فيه من خلل وخطأ، وجعلت الأحقاد بين الجانبين بعضاً من أهالي السنة يغالي في بغض المعتزلة وتكفيرهم، والبغدادي في كتابه "الفرق بين الفرق" بالغ في تكفير المعتزلة وإبراز مساوئهم، حتى أن الأشعري الذي تقدم ذكره انقلب على المعتزلة وألف كتاب كشف فيه فضائح المعتزلة "الإبانة في أصول الديانة"، وكذا صار المعتزلة في أواخر أيامهم عنواناً على الخروج عن الدين الإسلامي والخروج على مبادئ الشريعة الإسلامية[2]، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مدى ما وصل إليه المعتزلة من التشرذم والتدهور والانحطاط بعد أن كان مذهبهم المذهب الرسمي في عصر الدولة العباسية، ويرجح أن السبب الأساسي لما وصل إليه حالهم هو عدم التزامهم بالأصول والمبادئ التي وضعوها ونادوا بها فكان خروجهم عن مبادئهم بمثابة الإيذان بسقوط مذهبهم وإنهائه.

---

[1] **الأشعري: مقالات الإسلاميين**، ج23، ص232.

[2] **أبو لبابة: موقف المعتزلة من السنة النبوية**، ص163.

خاتمة.

من خلال ما تقدم وبعد أن تم استعراض أهم نقاط المعتزلة وكثرة انحرافاتهم، إلا أن لهم العديد من الفضائل تتمثل في مقاومة بعض زعمائهم تطبيقاً لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما بذل المعتزلة كل جهد لنشر دعوتهم في الآفاق، ففرقوا رسلهم إلى أمصار المشرق والمغرب للدعوة إلى مذهبهم، وشارك أعلامهم في هذه الحملة بجوب البلاد وإقامة حلقات البحث لمناقشة مخالفيهم ومجادلة الملحدين والمعاندين ورد شبه الخوارج والمرجئة، ومقاومة المسيحيين واليهود والمجوس، وفرقهم المختلفة التي تنطعت على الإسلام لإيقاف مده، وتمكنوا من إفحام هؤلاء الفلاسفة، كما اتخذوا الكتابة سبيلاً لدعم مذهبهم فكانت لهم مصنفات تشهد لهم بالقدرة والعلم وسعة الاطلاع، ولكن في النهاية إن الذي أتى على مجد المعتزلة وأطفأ نورهم، هي تلك الإصابات التي استهدفتهم نتيجة ارتمائهم في أحضان الآراء الدخيلة والملحدة، فغيروا الكثير من أراءهم وانحرفوا عن السمت فكانوا بحق مبتدعة، تعرّت آرائهم من كل دليل شرعي وما كان لديهم الدليل، إذ اتخذوا من العقل دليلاً، يؤولون به من الآيات ما لم تهتد إلى إدراكه أفهامهم، ويردون به من الحديث كل ما لا يتفق مع جموح هواهم المتعصب لمذهبهم، وبذلك يصدق عليهم قول "ولئن كانت بداياتهم دفاعاً عن الإسلام من طعنات أعدائه، كانت نهايتهم تعصباً دينياً مذهبياً لغاية التعصب.... ".

6- **قائمة المصادر العربية الإسلامية:**

1- القرآن الكريم.

2- ابن الأثير، محمد بن عبد الكريم (ت630هـ/1233م): **الكامل في التاريخ**، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.

3- **الإسفراييني**، إبراهيم بن محمد: **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**، تح: كمال الحوت، عالم الكتب للطباعة، بيروت، ط1، (د.ت).

4- الأشعري، أبو الحسن: **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تح: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، القاهرة، 1990م.

5- **الأندلسي**، ابن حزم علي بن أحمد: **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تعليق: محمد بن عبد الكريم، المطبعة الأدبية، القاهرة، مصر، 1996م.

6- الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد: **المواقف في علم الكلام**، دار علم الكتاب، بيروت، لبنان، (د.ت).

7- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر: **الفرق بين الفِرَق**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 1998م.

8- تسيهر جولد، إيجناتس: **العقيدة والشريعة في الإسلام**، تح: محمد يوسف موسى، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، (د.ط).

9- الجرجاني، علي بن محمد بن علي: **التعريفات**، تح: نصر الدين التونسي، شركة القدس، القاهرة، ط 1، 2007م.

10- الجهني، مانع بن حماد: **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط4، 1420هـ.

11- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت808هـ/1405م): **المقدمة**- من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، (د.ت).\

12-ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت681هـ/1282م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 1977م.

13- **الذهبي**، محمد بن أحمد بن عثمان: **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ط).

14-الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: **الملل والنحل**، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1975م.

15-الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: **نهاية الإقدام في علم الكلام**، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ.

16-الشوكاني، محمد بن علي: **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1250هـ.

17-العواجي، غالب علي: **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان مواقف الإسلام منها**، دار لينة- دمنهور، ط3، 1418هـ.

18-الغزالي، محمد بن أحمد: **المنقذ من الضلال**، تح: عبد الحليم محمود، مكتبة الأنجلو مصرية، ط4، عام 1964م.

19- **القاضي**، عبد الجبار بن أحمد الأسد: **الأصول الخمسة**، تح: فيصل بدير عون، جامعة عين شمس، الكويت، ط1، 1998م.

20-القاضي، عبد الجبار بن أحمد: **شرح الأصول الخمسة**، تح: عبد الكريم عثمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1422هـ.

21-القفطي، علي بن يوسف (646هـ/1248م): **أخبار العلماء بأخبار الحكماء**، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2005م.

22- **المصري**، جمال الدين: **سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون**، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، الدار الثقافية، القاهرة، مصر، (د.ت)، (د.ط).

23- المغربي، علي عبد الفتاح: **الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة**، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1986م.

24- أبو منصور، محمد بن أحمد الأزهري الهروي(ت488هـ/1095م): **تهذيب اللغة**، تح: عبد السلام هارون وآخرون، الدار المصرية ، مصر الجديدة، (د.ط)، (د.ت).

25- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت711هـ/1311م): **لسان العرب**، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ت).

7- قائمة المراجع:

1- البوطي، محمد سعيد رمضان: **مذاهب توحيدية وفلسفات معاصرة**، دار الفكر، دمشق، ط 3، 2010م،

2- جار الله، زهدي حسن: **المعتزلة**، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2002م،

3- الخيون، رشيد: **معتزلة البصرة وبغداد**، دار الحكمة، لندن، ط1، 1997م،

4- الربيعي، فالح: **تاريخ المعتزلة فكرهم وعقائدهم**، الدار الثقافية للنشر ،القاهرة ، مصر، ط1، 2001م،

5- الزركلي، خيرالدين: **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 15، 2002م، **الزركلي**، خيرالدين: **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 15، 2002م،

6- زكار، سهيل وخربوطللي، شكران: **الحضارة العربية الإسلامية**، منشورات جامعة دمشق، سورية، 1431هـ /2010م،

7- **السيد**، محمد صالح محمد: **مدخل إلى علم الكلام**، دار قباء، القاهرة، مصر، (د.ت)، 2001م،

8- **أبو هلال**، محمد: **إسلام المتكلمين**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2006م،

9- **عمارة**، محمد: **تيارات الفكر الإسلامي**، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط2، 1418هـ،

10- **أبو لبابة**، حسين: **موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها**، دار اللواء، الرياض، ط2، 1407هـ،

11- **مراد**، سعيد: **الفرق والجماعات الدينية في الوطن العربي قديماً وحديثاً**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1427هـ،

12- **المعتق**، عواد بن عبد الله: **المعتزلة وأصولهم الخمسة ومواقف أهل السنة منها**، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط2، 1995 م،

13- **المغربي**، علي عبد الفتاح: **الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة**، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1986م،

14- **النجار**، عامر: **علم الكلام عرض ونقد**، مكتبة الثقافة الدينية، قاهرة، مصر، 1430هـ/2009م.

الجهشياري والمادة المصدرية التي اعتمدها في مؤلفه الوزراء والكتاب

الطالبة: ميساء القيس

المشرف: د. سلمان شحاده

تلخيص

أسهم النضوج الحضاري الذي وصلت إليه الحضارة العربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي في تنوع أنماط الكتابية التاريخية العربية الإسلامية. لقد جاء كتاب الجهشياري المعنون تحت مسمى **الوزراء و الكتاب** كتأكيد على هذا التنوع، لقد عنى مؤلف الكتاب بطبقة محددة من طبقات السلطة و هم الوزراء و الكتاب، حيث عرض تراجم لهم، وتباينت معلوماته عن هذه الطبقة حسب قربهم الزماني و المكاني من عصر المؤلف، ونظراً لحساسية الكتابة عن هذا النوع من الأشخاص، كان من المهم التعرف على المادة المصدرية التي اعتمدها الجهشياري لجمع معلومات مؤلفه، يمكن القول إن قربه من السلطة الحاكمة، التي شغل فيها عدة مناصب، قد ساعده على الاطلاع على أنواع مختلفة من المصادر التي استطاع من خلالها أن يعطي صورة متكاملة عن فئة مهمة من الفئات التي لعبت دور في إدارة الدولة العربية الإسلامية في مراحلها المختلفة وصولاً إلى العصر العباسي الثاني.

الكلمات المفتاحية: العصر العباسي، الجهشياري، المصادر، كتاب الوزراء والكتاب.

Summary in English

The cultural maturity that the Arab-Islamic civilization reached in the fourth century AH(tenth century AD) contributed to the diversity of styles of Arab – Islamic historical writing AL-Jahshiyari,s book entitled "The Ministers and the Writers ."came as an emphasis on this diversity .The author of the book was concerned with a specific class of the classes of power ,namely the ministers and the writers He presented biographies of them ,and his onformation about this class varied according to their temporal and spatial proximity to the author,s era .Given the sensitivity of writing about this type of person ,it was important to identify the source material that AL-Jahshiyari relied on to collect information for his book it can be said his closeness to the ruling authority, in which he held several positions , helped him to access various types of sources through which he was able to give a comprehensive picture of an important group of group that played a role in managing the Arab Islamic state in its various stages,up to the second Abbasid era.

Keywords

Abbasid era- AL-Jahshiyari-Sources- The Ministers and the Writers

مقدمه

انتجت الحضـــارة العربية الإســـلامية مؤرخين كبار، حجزوا لنفســـهم مرتبةٍ متقدّمةٍ بين العلماء و المفكرين الذين قدّموا جهداً للإنسانيّة، فألزموا التاريخ بحفظ أعمالهم وإنجازاتهم وتخليدها وعدم زوالها بغيابهم، فكان من الطبيعي أن يقف التاريخ بفضلهم على أطلال الحضارة الإنسانية.

كغيرها من الفعاليات الثقافية تأثرت الكتابة التاريخية العربية الإســـلامية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بالتطورات السياسيّة والثقافيّة التي استجدّت خلال تلك الفترة، دون أن

تتجاهل ما مرت به الحضـــارة العربية الإســـلامية من تعاقب الخلافة الإســـلاميّة بين الراشـــديّة والأمويّة وحتّى العباسيّة، و بما أن العراق كان الحاضنة الأهم للنشاط الفكري و التاريخي العربي الإسـلامي في القرن الرابع الهجري، فقد كان من الطبيعي أن يحتلُّ هذا البلد المكانة الأولى بين الأقاليم العربيّة والإســـلاميّة في تدوين المؤلفات التي جمعت أخبار وحوادث الأمم الســـابقة والمعاصـــرة. وأخذ علم التاريخ يســـتجيب إلى متطلبات الحياة التي فرضـــت نفســـها على مؤرخي العصـــر وبالتحديد في القرن الرابع الهجري. لقد برز التدوين التاريخي كأهميةٍ واضـــحةٍ نتيجةً لحاجات التنظيم الإداري والسياسي خاصةً في المجتمع العباسي الذي بدأ يشهد تطوراتٍ هامةٍ في بناء الخلافة والمجتمع، وذلك لتأصيل وتوطيد المؤسسات التي تقوم عليها الدولة العباسيّة، فظهر التدوين التاريخي بصورةٍ أشمل وأوسع قائم على تدوين أخبار رجال الإدارة في الدولة، حتّى تحول هذا النوع من التدوين إلى سلاسلَ، امتدت عبر العصور عصراً فعصراً.

كان من المؤرخين الذين عرفوا في مجال تراجم الرجال والوزراء أبي عبد الله محمد بن عبدوس المعروف بالجهشـــياري (ت331هـ/942م) من خلال كتابه الذي اشـــتهر تحت عنوان: **الوزراء والكتاب** ، و هو مؤلفٌ ضـخمٌ، بقيت لنا منه القطعة الأولى، وتقف عند وزارة الفضل بن ســـهل للمأمون، وهو مملوءٌ بالوثائق والأخبار الهامة. لقد كان هذا الكتاب مميز و مبتكر بعنوانه، لذلك ســـيكون من المهم التعرف على المادة المصـــدرية التي اعتمد عليها المؤلف لجمع معلومات مؤلفه، كذلك للتعرف عن الكيفية التي تعامل بها مع مصادره.

إشكالية البحث

شـــهدت فترة العصـــر العباســـي الثاني الكثير من الأحداث التاريخية التي نالت اهتمام المؤرخ الجهشياري واستحوذت على فكره، وكان هذا العصر خلاصة لتجربة طويلة عاشتها إدارة العربية الإســـلامية، لذلك جاء مؤلفه الوزراء والكتاب أحد المصـــادر المهمة لأخبار الوزراء و

الكتاب حتى العصر العباسي الثاني. انطلاقاً من هذا ما سيحاول البحث الإجابة عن عدد من الأسئلة:

1- هل كان لقرب الجهشياري من أصحاب البلاط العباسي دور في اقتحامه هذا النوع من الكتابة التاريخية، من خلال التركيز على رجال الدولة من وزراء و كتاب؟
2- هل عبر مؤلفه عن رغبته الشخصية في هذا النوع من المؤلفات، أم عن حاجة السلطة الحاكمة؟

3- ما هي المادة المصدرية التي اعتمد عليها في كتابة مؤلفه ؟ و إلى أي حد كانت متنوعة؟ و هل اختلفت حسب الفترة التي تعرض لدراستها؟

4- كيف استطاع توظيف مادته المصدرية، كون مؤلفه كان معني بفترة طويلة امتدت من ظهور الإسلام حتى عصره؟

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على القيمة التاريخية التي تميز بها كتاب الجهشياري الوزراء والكتاب في التأريخ لفترة العصر العباسي الثاني و ما سبقه، وما تضمنه من أحداث ساهمت في تنوع موارده وغنى المادة المصدرية التي اعتمد عليها.

أهداف البحث

سيكون الهدف من البحث التعرف على شخصية الجهشياري المؤرخ والمفكر الكبير الذي احتل مكانة هامة في الكتابة عن الوزراء و الكتاب. و بنفس الوقت التعرف على المادة المصدرية التي اعتمدها في كتابه لتمييز ما هو مدون منها و ما هو شفهي. كذلك للتعرف على منهجه في أسلوب توظيف الموارد التي ساهمت في إغناء كتابه وشكلت عاملاً داعماً لأخباره ومروياته.

منهج البحث:

سار البحث وفق المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي في شرح المادة المصدرية التي اعتمدها الجهشياري في تدوين مادته التاريخية، والتي ارتبطت بمكانته العلمية، والوقوف على موارده التي أوردها ضمن مؤلفه الوزراء والكتاب، ومن ثم تحليل الأسباب التي دفعته لاختيار مصادره، وربطها بالنتائج التي ترتبت عليه.

حدود البحث:

الحدود الزمنية الفترة التي أرخ لها الجهشياري (ت:331/942م) أي من عصر دولة الرسول ﷺ حتى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

الحدود المكانية: العراق.

محاور البحث:

تمثلت محاور البحث بمقدمة ومحورين تناول المحور الأول الجهشياري وسيرته الذاتية أما المحور الثاني فتناول المادة المصدرية التي اعتمدها في كتابه الوزراء والكتاب، وخاتمة تحوي أهم النتائج التي توصل إليها البحث مع قائمة بالمصادر والمراجع.

مخطط البحث

مقدمة

أولاً: الجهشياري(سيرته الذاتية).

1- أسمه ونسبه.

2-مكانته العلمية.

ثانياً: المادة المصدرية التي اعتمدها في مؤلفه الوزراء والكتاب.

1- مصادر معلوماته.

أ- المصادر الكتابية(التاريخية والأدبية)

ب-المصادر الشفهية

2- منهجه في النقل و طريقة توظيف المادة المصدرية

مصادر البحث.

أولاً: **الجهشياري(سيرته الذاتية).**

1- أسمه ونسبه:

هو أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشـياري، الكوفي. عرف عنه أنه إخبارياً، مؤرخاً، وأديباً عراقياً، وبالرغم من أنّه من أهل الكوفة إلا أنّه نشــأ في بغداد، وعمل في دواوينها، فقد كان والده حاجباً للوزير علي بن عيسى[1] فخلفه في الحجابة، ثمّ للوزير حامد بن العباس[2] في خلافة المقتدر بالله[3]. أمّا نسبته إلى جهشيار، فلأنّ أباه، كان يخدم أبا الحسن علي بن جهشيار، القائد حاجب الموفق، وكان هذا اللقب خصيصاً به فنسب إليه .

اشـــتهر من خلال كتابه" الوزراء والكتاب" ، وقال محمد بن اســـحق عنه : "ابتدأ الجهشياري بتأليف كتابٍ، اختار فيه ألف سمرٍ من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم، كلّ خبرٍ قديمٍ بذاته لا تعلق له بغيره، وأحضر المسامرين وأخذ عنهم أحسن ما يعرفون، واختار من الكتب المصنفة في الأسمار والخرافات ما يحلو بنفسه وربما قصد بذلك كتاب " أسمار العرب والروم والعجم". كما أن له من المصنفات أيضاً كتاب" ميزان الشعر والاشتمال على أنواع العروض". توفي الجهشياري وهو مستتراً وأولاده في بغداد سنة (331هـ\943م)[4].

2-مكانته العلمية.

تقلّد الجهشياري مناصبَ رفيعةَ في الدولة العباسية، فكان من أرباب السيف والقلم حتّى أنّه غدا أميراً للحج سنة(317 هـ/939م)[5]، ويمكن أن نستنتج أنّه مسلمٌ، يتبع للمذهب السائد

والذي تســـير عليه الخلافة العباســـيّة إذ لم تذكر المصـــادر التاريخية المذهب الذي عليه الجهشـياري[6]. و يتبين من خلال المصـادر التي تناولت الحديث عن حياته العلمية بأنه كان من الرجال والشخصيات البارزة والهامة في عصره، و ممن تميزوا بمكانة علمية هامة، ومن المؤرخين الذين تحدثوا عنه وترجموا له كان المؤرخ ابن النديم في كتابه (الفهرست) حيث قال: "الجهشـياري أبو عبدالله محمد بن عبدوس أحد الكتاب الإخباريين المترســـلين، وله من الكتب كتاب الوزراء والكتاب، وكتاب ميزان الشعر والاشتمال على أنواع العروض"[7].

كذلك تحدث المؤرخ المسعودي عن مكانة الجهشياري العلمية وعن مؤلفاته التي شاهدها بنفسه، وقد أكد على أهميتها بوصفها أحد الكتب التاريخية ذات القيمة الكبيرة من حيث المعلومات التي احتوتها، و قال المســعودي عنه : "وقد صــنف أبو عبدالله بن عبدوس الجهشــياري أخبار المقتدر في ألوف الورقات ووقع لي منها أجزاء يسـيرة، وأخبرني غير واحد من أهل الدراية أن ابن عبدوس صنف أخبار المقتدر في ألف ورقة"[8].

كما أجمع المؤرخون[9] الذين ترجموا للجهشـــياري، وتناولوا الحديث عن كتابه الوزراء والكتاب إلى أهمية هذا الكتاب لما يحتويه من أخبارٍ مهمةٍ ونادرةٍ في مواضـيعها وصـادقةٍ وأمينةٍ في إيرادها، فهو يعطينا نظرةً من الداخل للإدارة العباســـيّة، ويعطينا معلوماتٍ عن الأحوال الســـياســـيّة، والصـــراع بين العرب والموالي والخرســـانية ويمكن أن نعزو تأليفه للكتاب إلى أن أصـحاب القرار أو السلطة طلبوا منه الكثير من التفاصيل عن هذه المرحلة أو أن المصـادر التي

كانت بمتناول يده بحكم قربه من السلطة ساعدت بتعزيز رغبته في التأليف في مادة ذات اهمية كبيرة في تعريف القراء على الحياة الإدارية في الخلافة العباسية[10].

وقد كان هذا الكتاب ذا أهمية للمؤرخين من بعده؛ لدرجة أن من أراد تصنيف كتاب، يتناول الموضوع نفسه الذي يقوم عليه الكتاب بدأ من حيث انتهى الجهشياري من ذكره لأخبار الوزراء والكتاب، وهذا ما عمد إليه أبو بكر الصولي من حيث بدأ مؤلفه من حيث انتهى الجهشياري . كما أنّ الصابئ، قد أشار إلى أنّ الصولي قد صنف كتابه على غرار كتاب الجهشياري في حديثه عن الوزراء والكتاب وجعله ذيلاً مكملاً لكتاب الجهشياري. وذلك من خلال قول الصابئ :" **ووضع أبو بكر محمد بن يحيى الصولي كتاباً في مثل ذلك –ويقصد تاريخ الوزراء– رأيت من ما كان إلى آخر أيام القاسم بن عبيد الله** " [11].

ويمكن تعريف منصب الوزارة بمفهومها السائد في الخلافة العباسية والتي أتى الجهشياري على وصفها في كتابه الوزراء والكتاب، وفيها يكون الوزير وسيطاً بين الخليفة والرعية والولاة ويكون مجرد منفذ للأوامر أما منصب الكاتب فتكون له مهام عدة منها تحرير الرسائل الرسمية داخل الدولة وخارجها ويتولى نشر البلاغات والقرارات والمراسيم بين الناس.

ثانياً– المادة المصدرية التي اعتمدها في مؤلفه الوزراء والكتاب.

إنّ نظرةً شاملةً على اتجاهات الكتابة التاريخيّة عند المؤرخين في القرن الرابع الهجري، نجد أنّها تطورت من حيث المنهجيّة في الاقتباس من مصادر أفادوا منها في مؤلفاتهم وكتاباتهم، ومن حيث الطريقة في النقل من هذه المصادر سواء كانت كتابية منها أو مشافهة[12].

1- مصادر معلوماته:

كغيره من المؤرخين المسلمين فقد اعتمد الجهشياري بشكل كبير و واسع على مصادر متنوعة من أجل تصنيف كتابه الوزراء والكتّاب، لكن أكثرها كان روايات شفوية حسب ما اتضح من دراسة كتاب الجهشياري، وهذا بالتأكيد لا يعني أنه لم يلجأ إلى الاستعانة بمصادر كتابية، لكن بشكل أقل من اعتماده على الروايات الشفوية، وسيتم إيراد هذه المصادر وفق ما يلي:

أ- المصادر التاريخية:

شغل هذا النوع من المصادر حيزاً لا بأس به من المصادر التي اعتمد عليها الجهشياري في كتابه الوزراء والكتّاب، إلا أنها لم تشكل مصدراً أساسياً لديه، بل ثانوياً إلى حدٍ ما، فالوزراء والكتّاب هو في الطبقات يعتمد على القصص والنوادر التي لا يرد ذكرها كثيراً في كتب التاريخ على اختلاف أنواعها، والتي غالباً تركز على ذكر الحدث التاريخي وتفاصيله، وتعزف عن ذكر النوادر والقصص. ويعد هذا النوع من المصادر من الموارد الأساسية التي اعتمد عليها الجهشياري في تصنيف كتابه الوزراء والكتّاب، ودراسة هذه المصادر تعد من أهم صعوبات هذا البحث، فالجهشياري في أكثر الأحيان لم يذكر مصادره الكتابية، وفي حال فعل ذلك كان يكتفي بذكر اسم المؤلِف من دون أي ذكر لاسم كتابه الذي أخذ عنه، ومن المعروف عن مؤرخي تلك الفترة أن الواحد منهم كان يضع العديد من المؤلفات التي قد يصل بعضها إلى العشرات، وتتشابه فيها الأفكار في كثير من الأحيان لذلك يصعب تتبعها، وسيتم ذكر المصادر التي تم التوصل إليها بعد دراسة كتاب الجهشياري وترتيبها وفق ما يلي:

1- تاريخ الطبري (ت 310هـ/923م):

يعد كتاب التاريخ الذي وضعه أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري[13]، من أهم وأشهر كتب التاريخ الموسوعية التي تعنى بالتاريخ العام، ويكاد لا يخلو أي مؤلَف تاريخي لاحق أو حتى معاصر من الأخذ عن الطبري لما بلغه كتابه (تاريخ الرسل والملوك) من أهمية مصدرية بالنسبة للمؤرخين على مختلف العصور اللاحقة.

أما بالنسبة للجهشياري فالأخذ عن الطبري لم يكن صريحاً، ولم يصرح به إطلاقاً، لكن من المحتمل جداً أن الجهشياري قد نقل عنه بحكم التشابه في بعض المواضع، حيث بلغ هذا التشابه حد النقل الحرفي كدليلّ على الأخذ عنه، وقد أشار المحققون إلى هذه المواضع من خلال حواشي صفحات الكتاب، والتي لا يسعنا الوقوف عليها جميعاً، لكن أبرزها ما ذكره المحققون في حواشي الصفحات التي تناولت سير الخلفاء الراشدين، أي الصفحات الأولى من الكتاب.

2- الواقدي (ت 207هـ/ 823م):

هو الإمام العلامة أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، أحد أوعية العلم، وأشهر من صنف المغازي والفتوح وغيرها، وله من التصانيف: (التاريخ والمغازي – المبعث – أخبار مكة – الطبقات – فتوح الشام – فتوح العراق – الجمل – مقتل الحسين – السيرة – أزواج النبي ﷺ – الردة والدار .... إلخ)[14]، إلا أن شهرته الكبيرة قد استمدها من كتابته للتاريخ الحربي العربي الإسلامي (المغازي والفتوح)، وقد أخذ عنه الجهشياري، من دون ذكر أي تلك المؤلَفات قد تم الأخذ عنه حيث اكتفى بالقول: "قال الواقدي"[15] وقد ورد ذكره في موضع واحد فقط، ولا ندري إذا كان قد أخذ عنه في مواضع أخرى من دون أن يذكر ذلك حيث لم يذكر أنه قد فعل.

أما كتب الطبقات: وهي نوع من المؤلفات العربية الإسلامية التي تضم كثيراً من البيانات عن الأحوال السياسية، والاجتماعية، والأدبية عن شخصيات هامة في المجتمع العربي الإسلامي فترة العصور الوسطى، وكتب الطبقات هي التي تتألف من سير طائفة معينة من ذوي السلطة، أو الفقهاء، أو العلماء، أو الأدباء، أو أصحاب المهن[16]، وهي كثيرة في التاريخ الإسلامي، ويطلق عليها أيضاً كتب التراجم. ويعد هذا النوع من الكتب أحد أنواع المصادر التي اعتمد عليها الجهشياري عند وضعه لكتابه الوزراء والكتّاب، والذي يعد أيضاً من نوعية هذه الكتب كونه يعرض لطبقتي الوزراء والكتّاب، ما جعل من كتب الطبقات مصادراً أساسية للجهشياري، ومن بينها:

1- (الكتّاب) لعمر بن شبة (262هـ/877م):

يعد كتاب الكتّاب أحد مؤلفات كثيرة وضعها المحدث الثقة المؤرخ أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري، المولود سنة (173هـ/789م)، وقد أجمع جميع من ترجم له على أنه صادق اللهجة غير مدخول الرواية، عالم بالآثار، روية للأخبار، أديب فقيه، صاحب نوادر واطلاع، عالم بالقراءات، صاحب تصانيف، بصير بالسير والمغازي وأيام الناس، ثقة في كل ما يروي[17].

ولابن شبة ما يقارب العشرين مؤلفاً لم يبقى منها سوى كتاب (الجمهرة في أخبار العرب)، وكتاب (تاريخ المدينة المنورة) في ثلاث أجزاء، أما أكثر كتبه الضائعة التي لم يعثر على شيء منها فأكثرها من كتب الطبقات والأنساب مثل: (الكتّاب – أمراء مكة – أمراء المدينة – السلطان – الشعر والشعراء – أشعار الشراة – النسب)، وكتاب (الكتّاب) أحد هذه الكتب الذي نرجح أن الجهشياري اعتمد عليه دون غيره، مع عدم الجزم بذلك، والسبب في هذا الترجيح يرجع لكون الجهشياري قد أخذ عن عمر بن شبة في عدة مواضع في كتابه الوزراء والكتّاب، إذ يبدو أن موضوع كتاب ابن شبة الذي أخذ الجهشياري عنه يوافق إلى حدٍ ما موضوع كتاب الجهشياري

الوزراء والكتّاب، ولا أصلح منه بالنسبة للجهشياري للأخذ عنه، مع العلم أننا لا ندري فحواه فهو مفقود، ولم يتسنى لنا الاطلاع عليه، إلا أن اسمه يدل على مضمونه الذي يتعلق بطبقة الكتّاب كحال كتاب الجهشياري.

من ناحية أخرى فقد أورد الجهشياري ما يشير إلى أنه أخذ عن هذا الكتاب حيث قال: " قال عمر بن شبة: حدثني بعض أصحابنا عن الوضاح بن خثيمة[18] قال: أمر عمر بن عبد العزيز بإخراج قوم من السجن، فأخرجهم وتركت يزيد بن أبي مسلم[19] كاتب الحجاج، فحقد ذلك علي ونذر دمي:"[20]، ويتضح من هذا النص أنه يتعلق بيزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج بن يوسف الثقفي ما يقوي فرضية أن الجهشياري قد اعتمد على كتاب (الكتّاب) من مؤلفات ابن شبة.

2- (أخبار الخلفاء) لحارث بن أبي أسامة (282هـ/895م):

لقد ورد لدى الجهشياري أنه أخذ عن الحارث بن محمد بن أبي أسامة المحدث الحافظ، أبو محمد التيمي البغدادي مسند بغداد في وقته، ولد سنة ست وثمانين ومائة، روى عنه الكثير من المؤرخين والمحدثين ومنهم الإمام الطبري[21].

لم تذكر المصادر العربية الإسلامية أن كان للحارث بن أبي أسامة مؤلفات في التاريخ، لكن الغريب هو أن الجهشياري ذكر أنه أخذ عنه، وذكر اسم الكتاب الذي أخذ عنه وهو كتاب (أخبار الخلفاء) الذي لم يرد ذكره في المصادر التاريخية، ولم يتم إيجاد أي دليل على وجوده

أصـلاً سـوى ما ذكره الجهشـياري في موضـعين، الأول قال فيه: "ذكر الحارث بن أبي أسـامة في كتابه المعروف بأخبار الخلفاء"[22]، وفي الموضـع الثاني قال: "ذكر الحارث بن أبي أسـامة في كتاب أخبار الخلفاء"[23]

ويتضـــح من عنوان هذا الكتاب الذي لم يعثر عليه أنه أحد كتب الطبقات، والتي تخص أخبار الحكام، ولكن من الغريب أن الجهشياري أشار إلى أنه كتاب معروف في حين لم تشر المصادر التاريخية إلى ذلك بالفعل.

ب- المصادر الأدبية:

استقى الجهشياري مصادره من مواردَ عدةٍ، نسج من خلالها كتابه وكانت تقوم تارةً على المشـافهة والرواية و السـماع أو بالاعتماد على بعض الكتب والوثائق أو حتى كتب الشـعراء والأدباء .

كما أنّه استقى بعض مصادره من الشعر وأقوال الشعراء، حيث اقتبس بعض معلوماته من أقوال الشعراء والأدباء بأن أورد العبارات الدالة على ذلك مع ذكره اسم الشاعر كأن يقول: " **وفيه يقول أبو نواس ..**"[24] " **الأصـمعي قال...**" [25]**.وقال أبو العتاهية ...**[26] **وأنشـدني سـعيد بن يعقوب...**[27]

أو أنّه يكتفي بالإيحاء بذكر مجموعة من الشـــعراء دون ذكر أســـماءٍ، كأن يقول:" **فقال بعض الشعراء أبياتاً منها** ..."[28].

ج- الرواية الشفوية:

المقصود بالرواية الشفوية المعلومات والأخبار التي حصل عليها المؤرخ عن طريق شخص أخبره بها بشكل شفوي، ويوجد ثلاث حالات للرواية الشفوية، وهي: إما أن يكون الراوي قد شهد الحدث التاريخي بنفسه وحدثَّ به المؤرخ، فيكون بذلك مصدراً مباشراً، وإما أن يكون قد سمع عن غيره، وبدوره حدث به المؤرخ فيكون بذلك مصدراً ثانوياً، ومنها ما بكون قد وصل للمؤرخ بشكل غير مباشر كحديث سمعه من شخص مجهول أو متداول بين الناس.

لقد تميزت الكتابة التاريخية العربية الإسلامية عبر تاريخها باحتوائها على الكثير من الروايات الشفوية التي أوردها المؤرخون في كتاباتهم واعتمدوا عليها، لكن الملاحظ أن الروايات الشفوية كانت جزءاً أساسياً ومتأصلاً في الكتابة العربية الإسلامية خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة، أكثر منها في القرون اللاحقة، حيث نجد أن كلمة (حدثني) أو (سمعت) على سبيل المثال، توجد في المؤلفات التي تنتمي للقرون الأربعة الأولى أكثر بكثير من المؤلفات التي تم تصنيفها في الفترات اللاحقة.

كان الجهشياري من مؤرخي القرون الأولى الذين اعتمدوا بشكل واسع على أسلوب الرواية الشفوية، وصفحات الكتاب، مليئة بالروايات الشفوية التي أوردها الجهشياري، ساعده على هذا كثرة

تنقلاته ورحلاته كأمير للحج، ومن ثم قربه من البلاط العباسي، وعلاقاته المميزة مع ذوي السلطة والنفوذ. وذكر الروايات الشفوية التي أوردها الجهشياري في كتابه تحتاج لمؤلف مستقل لكثرتها، لذلك سيتم الاكتفاء بذكر بعض النماذج منها.

1- الروايات الشفوية المباشرة.

يعد هذا النوع من الروايات أكثر أهمية من حيث الثقة، لأن المؤلف سمعها من أشخص ثقات، إما شهدوها بأنفسهم، أو نقلوها عن أشخاص ثقات أيضاً، ويتضح ذلك من ذكر أسمائهم وأسماء الذين تم النقل عنهم، وسار منهجه على طرقٍ عدةٍ لاقتباس رواياته أو نصوصه بشكلٍ مباشرٍ، وهو ما يسمى بالاقتباس المباشر، وهو اتجاهٌ منهجيٌّ من خلال الاقتباس بالإشارة إلى اسم المؤلف ومصدره كاملاً، حيث عمد فيه على إيراد اسم المؤلف وكتابه كاملاً عند اعتماده على مصدره في ذكر روايته المقتبسة على سبيل المثال قوله :" **وذكر الحارث بن أبي اسامة في كتابه المعروف بكتاب الخلفاء في إخبار المنصور** "[29].

وفي هذا الصدد أورد الجهشياري العديد من الروايات المباشرة نذكر منها:

- "حدثنا ولد علي بن الحسين[30] عنه: أن الفيض بن صالح، وأحمد بن الجنيد[31]، وجماعة من الكتاب، تركوا دار الخليفة، منصرفين إلى منازلهم في يوم وحل، فتقدم الفيض، وتلاه أحمد بن الجنيد، فنضح دابة الفيض على ثياب أحمد بن الجنيد من الوحل، فقال أحمد للفيض: هذه ولله مسايرةٌ بغيضة، ولا أدري بأي حق وجب لك التقدم علينا، فلم يجبه الفيض بشيء...."[32].

– وفي رواية أخرى قال الجهشياري: "حدثنا ولد علي بن الحسين عنه: أن داود كاتب أم جعفر[33] حبس وكيلاً لها، وجب عليه من حســـاب دفعه عن ضـــياع تقلدها من ضـــياعها مئتا ألف درهم...."[34]

– وفي موضــع آخر ذكر الجهشــياري: "حدثنا ولد علي بن الحســين عنه، قال: حدثني علي بن الجنيد قال: كان بيني وبين يحيى بن خالد مودة وأنس، فكنت أعرض عليه الرقاع من الحوائج، فكثرت رقاع الناس عندي، واتصل شغله، فقصدته يوماً، وقلت يا سيدي قد كثرت الرقاع، وامتلأ خفيّ وكميّ، فإنما تطولت في النظر فيها، وإما رددتها. فقال لي: أقم عندي حتى أفعل ما سألت، فأقمت عنده، وجمعت الرقاع في خفيّ، وأكلنا وغسلنا أيدينا وقمنا إلى النوم، واستحييت من إذكاره إياها، وبئست من عرضـها، لأنني قد علمت أننا نقوم فنتشاغل بالشرب، فنمت، ودعا هو بالرقاع من خفيّ، فوقع في جميعها..."[35].

2– الروايات الشفوية غير المباشرة:

وهي الروايات التي لم يذكر الجهشـياري أنه سـمعها من محدثيها بشـكل مباشـر، ولم يذكر من أخبره بها، إما لكون الرواية كانت متداولة بين الناس، أو لكونه جاهلاً بشـــخص من رواها أمامه، أو لكون من أخبره إياها كان قد سـمعها من مصـدر قد لا يكون موثوقاً أو مجهولاً أيضـاً، وهذا النوع من لروايات كثير للغاية في كتاب الجهشياري، نذكر بعضها:

.

– "روي عن الشـــعبي[36] أن رســـول الله كتب أربعة كتب، بالأول: باســـمك اللهم فنزلت "هود" وفيها: بسم الله مجراها ومرساها". وكتب في الثاني: بسم الله، فنزلت بنو إسرائيل وفيها قال: "قلِ الله أو ادعوا الرحمن" فكتب في الثالث: "بسم الله الرحمن الرحيم""[37].

– وفي أيام الخليفة عثمان ﷺ أورد الجهشـــياري رواية قال فيها: "روي عن جابر[38] أنه قال: إن المصريين لما صاروا بأيلةٍ راجعين عن عثمان، مر بهم راكب أنكروا شأنه، فأخذوه، فإذا هو غلام لعثمان على جمل له معروف، وكان عثمان يحج عليه، ففتشوه فوجدوا معه قصبة من رصاص، فيها صـــــحيفة عليها خاتم عثمان، ففتحوا الصـــــحيفة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى عبدالله بن ســـعد[39] عامله على مصـــر، فيه:" إذا قدم عليك فلان وفلان وفلان، فاضـــرب أعناقهم، وفلان وفلان وفلان، فاقطع أيديهم وأرجلهم، فســـمى الذين كانوا ســـاروا إلى عثمان، وانصـــرفوا عنه من أهل مصـــر، فكروا راجعين حين وقفوا على ذلك، فاقرءوا الكتاب أصـــحاب رسـول الله، فعاتب قوم عثمان على ذلك، فقال: أما الخط فخط كاتبي، وأما الخاتم فخاتمي، ولا والله ما أمرت بذلك. وكان بخط مروان بن الحكم[40]، فقال القوم: إن كنت كاذباً فلا إمامة لك، وإن كنت صـادقاً فليس يجوز أن يكون إماماً من كان بهذه المنزلة من الغفلة، حتى يقدم عليه كاتبه بهذا الأمر العظيم"[41].

.

ج- ومن الروايات الغير المباشرة التي أوردها الجهشياري أيضاً: "قال إسماعيل بن صبيح[42]: وكان يحيى بن خالد أعلم الناس بالنجوم"[43]. أن طريقة عرض الجهشـــياري لهذه الروايات بهذه الطريقة وبهذا الأسلوب تؤكد بأنه لم يأخذها من راويها المباشر.

2- منهجه في النقل من المادة المصدرية:

انفرد الجهشياري بمنهج تأليفي له سماتٌ خاصةٌ، وقد اعتمد في كتابه "الوزراء والكتاب على منهجٍ، اتسم بالشموليّة والموسوعيّة بما يخص طبقة الوزراء و الكتاب، لم تكن معهودةً في مناهج مصنفي هذا النوع من الكتب، ربما كونه استفاد من موقعه في صميم الإدارة العباسيّة، وقد نقل عنه معظم المؤرخين، إذ كان هناك العديد من الكتاب السابقين للجهشياري، وحتى اللاحقين منه، قد صنفوا كتباً ومؤلفاتٍ في هذا الموضوع [44].

أيضاً نجده اتبع أسلوب الاعتماد على الاسناد في تسلسل رواياته في كثير من الأحيان وتبعاً لأسلوب المحدثين في ذكر الإسناد نجد أن الجهشياري يذكر روايته معتمداً الإسناد أي التسلسل من شخص لأخر حتّى الوصول إلى المصدر الرئيسي الأصلي للرواية التاريخيّة، أن يقول مثلاً : " **قال أبو العباس لأبي الجهم** ..."[45]، وأيضاً قوله في موضعٍ آخر:" **وذكر أبي سهل الرازي**

القاضي عن منصور بن أبي مزاحم قال:...." [46] وقوله :" و **وما يحكى أيضاً ... ما ذكر أبو العيناء أو حدثني أبو العيناء ....**[47]

كما أنّه لا ينسى إيراد عبارات المحدثين والتي هي:" أخبرنا، حدثنا، وهي بذكر أكثر من راو للرواية الواحدة، كأن يقول :" **قال اسحاق بن سعد القطريلي : أخبرنا عمر بن فرج** " [48] .

ففي نقله عن مصادره حرص الجهشياري أغلب الأحيان على اتباع منهجٍ دقيقٍ في التعامل مع النصوص التي أوردها في كتابه، كما أنّه استعمل بعض الألفاظ والتعابير الدالة على سماعه الرواية من كبار الشيوخ في عصره، وذلك لتأكيد صدق روايته والتي تعزز من قيمة مصدره الذي اقتبس منه أو نقل عنه الرواية أو الحدث التاريخي، حيث يعمد على ذكر أكثر من راوي لإسناد روايته كأن يقول: " **قال أبو العباس ثعلب حدثني محمد بن سلام الجمحي حدثنا خلاد بن يزيد قال ....**"[49]، أو يقول :" **قال اسحق بن سعد حدثني عبد الله بن مخلد**" [50] أو يقول :" **حدثنا علي بن أبي عرن قال: حدثني الفضل بن مروان**" [51] .

وفي معرض الحديث عن طريقة الجهشياري في الإشارة إلى اسم المؤلف ومصدره، أن الجهشياري اكتفى بذكر أسماء المؤلفين الذين أخذ عنهم من دون الإشارة إلى أسماء مؤلفاتهم، وهذا يعد مأخذاً هاماً على الجهشياري، فذكر اسم المؤلِف لا يعني بالضرورة معرفة المؤلَف

الخاص به، أو المعني من قبل الجهشـياري، إذ كان لأكثر المؤرخين المسـلمين مؤلفات كثيرة قد تتشابه في معلوماتها وموضوعاتها أحياناً.

إن طريقة توظيف الجهشـياري لمصـادره و تأكيده على الأسـناد بأكثر من مكان تبين رغبته على أن يعطي مؤلفه المصـداقية التي اسـتمدها من نسـبة المعلومات التي أوردها إلى أصحابها سواء أكانت مصادر كتابية أو حتى شفهية.

خاتمة

إن الدراسـة المتأنية لمنهج الجهشـياري وموارده في كتابه "الوزراء والكتّاب" أوصـلت إلى عدد من النتائج وهي:

- ❖ أن الجهشياري كان من المؤرخين الثقاة في عصره لمكانته العلمية التي حظي بها وأكدت دوره في تدوين الكثير من الأحداث التاريخية التي شهدها عصره لاسيما العصر العباسي الثاني.
- ❖ تمتع مؤلفه الوزراء والكتّاب بالأهمية الناتجة عما افاد منه من مادة مصدرية لاسيما المصادر المكتوبة التاريخية منها والأدبية والمصادر الشفوية التي أكثر منها وهي ما يبين الأمانة والثقة في نقله عنها.
- ❖ حرص الجهشياري على الاعتماد على مصادر متنوعة بغية توثيق المادة العلمية في كتابه والوصول إلى الحقيقة في مضامينها التاريخية، ربما قربه من السلطة العباسية ساعده على امتلاك مختلف الأنواع من المصادر.
- ❖ بعد دراسة منهج الكتاب وموارده تبين لنا أنه يتسم بالشموليّة والموسوعيّة فيما يتعلق بالجانب بالشخصيات التي تضمنها الكتاب، وهذه المسألة لم تكن معهودةً في مناهج مصنفي هذا النوع من الكتب، أيضاً تميزه بالدقة والتنوع في تعامله مع مصادره فلم

يكتف بالاعتماد على نوع واحد من المصادر بل تناول مادة مصدرية دقيقة و متنوعة في نوع النصوص التي أفاد منها.

- ❖ بالرغم من الدقة في منهج الجهشياري في كتابته التاريخية إلا أنه لم يمنع من وجود بعض من المآخذ على منهجه، على رأسها إهمال ذكر بعض الفترات والشخصيات، وعدم إدراج روايات متعددة للمقارنة بينها، وضعف ترجمة أسماء العلم، بالإضافة إلى السقط والتصحيف، وأخيراً تركيزه في المغالاة في استخدام المصادر الشعرية على حساب المصادر الكتابية الأخرى.

هوامش البحث:

1. الوزير علي بن عيسى: هو أبو الحسن علي بن الحسن بن الجراح(ت: 335هـ/946م) وزير الخليفة العباسي المقتدر مرتين ووزير للقاهر بالله، كان نبيلاً فاضلاً . ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ابن الأثير(عز الدين أبي الحسن ت: 630 هـ/1233م):الكامل في التاريخ ،تح :خليل مأمون شيحا ،دار المعرفة ،بيروت ،د.ت ، ج5، ص134.
2. الوزير حامد بن العباس: هو أبو الفضل الخرساني وزير عباسي تولى الوزارة في عهد الخليفة المقتدر بالله بعد مسيرة طويلة في المناصب الإدارية . الذهبي (محمد بن أحمد ت 748هـ/1347): سير أعلام النبلاء، عناية: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، عمّان، 2004م،مج14، ص357.
3. التنوخي (المحسن بن علي ت: 384هـ/994م): نشوار الحضارة وأخبار المذاكرة، تح: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، 1973م، ج8، ص87؛ ابن النديم (محمد بن أبي اسحق ت: 384هـ/994م): الفهرست، تح: رضا نجدد، د.م، طهران، 1971م، ص141؛ الحموي (ياقوت بن عبدالله ت: 626هـ/1229م): معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م، مج5، ص67؛ الذهبي (محمد بن أحمد ت:

748هـ/1347): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م ، مج7، 624.

4. الصفدي (خليل بن أيبك ت: 764هـ/1363م): الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م، ج3، ص167.
5. الزركلي(خير الدين): الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت،ط15، 2002م،ج1،ص 256؛ مصطفى(شاكر): التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، 1978م، ج2، ص 43.
6. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8، ص329.
7. ابن النديم: الفهرست، ص141.
8. المسعودي(ت 346هـ/957م):علي بن الحسين بن علي بن عبد الله المسعودي، الهذلي، أبو الحسن، ولد في بغداد وتلقى تعليمه فيها، من أشهر مصنفاته التي اشتهر بها(مروج الذهب ومعادن الجوهر) الذي تضمن تاريخ العالم إلى مولد الرسول الكريم، وكتاب (التنبيه والإشراف) المسعودي (علي بن الحسن ت: 346هـ/956م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، د.د، بيروت، 1978م، 254.
9. المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر، ص293.
10. ابن النديم: الفهرست، ص 184؛ الحموي: معجم الأدباء، ج6، ص 2568؛ الصابئ (الهلال بن المحسن الصابي): الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص4؛ ابن خلكان (أحمد بن محمد ت 681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978م،ج6،ص228؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج13،ص128؛ا لصفدي: الوافي بالوفيات،ج3، ص 167؛ ابن الساعي: الدر الثمين في أسماء المصنفي ابن الساعي(علي بن أنجب ت:674هـ/1276م): الدر الثمين في أسماء المصنفين ، المطبعة الأميرية، مصر، 1891م،ص233؛ البغدادي(اسماعيل

بن محمد):هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار التراث العربي، بيروت، ج 2، ص 36 ؛ كحالة (عمر رضا): معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993م، ج1، ص 245.

11. تقلّد الجهشياري مناصبَ رفيعةَ في الدولة، فكان من أرباب السيف والقلم حتّى أنّه غدا أميراً للحج سنة 317 هـ الزركلي: الأعلام ، ج6، ص 256؛ شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون ، ج2، ص 43.

12. الصابئ: تحفة الأمراء، ص4 .

13. سالم(السيد عبد العزيز): التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص77.

14. الطبري (محمد بن جرير ت: 310هـ923م): تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1990م، ج1، ص 5،10.

15. الواقدي (محمد بن عمرو ت 207هـ/822م): فتوح الشام، ضبط وتصحيح: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج1، ص 1-2

16. الجهشياري (محمد بن عبدوس ت: 334هـ/942م): الوزراء والكتاب، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى الباني الحلبي، القاهرة، ط1، د.ت، ص 198.

17. كاشف (سيدة إسماعيل): مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، دار الرائد العربي، بيروت، 1983م، ص 85.

18. ابن شبة (عمر بن شبة ت 262هـ/877م): تاريخ المدينة المنورة، تح: فهيم محمد شلتوت، د.د، د.م، د.ت، ج1، ص ح – ي

19. ابن خثيمة: قيل أنه أحد أصحاب الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز؛ ابن منظور (محمد بن مكرم ت 711هـ/1311م): مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تح: أحمد راتب حموش – محمد ناجي العمر، دار الفكر، دمشق، ط1، 1989م، ج26، ص 290.
20. يزيد بن أبي مسلم: أبو العلاء بن دينار الثقفي أمير المغرب، مولى الحجاج وكاتبه ومشيره، استخلفه الحجاج عند موته على أموال الخراج وأقره الوليد، ثم أمرّه على أفريقيا يزيد بن عبد الملك فثارت عليه الخوارج، وفتكوا به لظلمه سنة 102هـ/721م؛ الذهبي (محمد بن أحمد ت 748هـ/1347): سير أعلام النبلاء، عناية: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، عمّان، 2004م، ص 41.
21. الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص 136.
22. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج11، ص 200–201.
23. الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص241؛ عنيزان (فاطمة زبار): بعض الصيغ المنهجية في كتاب الوزراء والكتّاب، مجلة كلية التربية، العدد 88، جامعة بغداد، 2015م، مج 21، ص 32.
24. الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص 120’130.
25. الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص 131.
26. الجهشياري:الوزراء والكتاب، ص101– 103
27. الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص78.
28. الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص78.
29. الجهشياري، الوزراء والكتاب ، ص 87.
30. علي بن الحسين: يعرف بالاسكافي الكاتب، وهو علي بن الحسين بن عبد الأعلى أبو الحسن كاتب بغا الكبير، ت 283هـ/897م.؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج21، ص 22.
31. أحمد بن الجنيد: لم نقف له على ترجمة.
32. الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص 164–165.

33. أم جعفر: شجاع والدة الخليفة المتوكل على الله.؛ كحالة (عمر رضا): أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت، ج2، ص286.
34. الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص 165.
35. الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص 188.
36. الشعبي: عامر بن شراحبيل، أبو عمر الشعبي، من شعب همدان، علامة أهل الكوفة، ولد وسط خلافة عمر بن الخطاب، روى عن علي يسيراً، وعن المغيرة بن شعبة، وأبي هريرة، وعدي بن حاتم، وابن عباس، وخلقٌ كثير، ت 104هـ/723م.؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ص 2100–2101؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج16، ص 336–337.
37. الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص 14.
38. جابر: أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي، أحد الأئمة الستة من أصحاب عبدالله بن عباس، سمع عن ابن عباس، وابن عمر، روى عنه عمرو بن دينار، وقتادة، ت 93هـ/712م.؛الصفدي: الوافي بالوفيات، ج11، ص 26.
39. عبدالله بن سعد: بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري، قريش الظواهر، يكنى أبا يحيى، وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاعة، أرضعت أمه عثمان، مات بعسقلان سنة 36هـ/656م.؛ ابن الأثير (علي بن محمد ت 630هـ/1233م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد معوض و عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج3، ص 260–261.
40. مروان بن الحكم: هو الخليفة الأموي مروان بن الحكم بن العاص بن أمية ين عبد شمس أبو عبد الملك القرشي الأموي ت 65هـ/685م.؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، مج2، ص706.
41. الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص 21–22.

42. إسماعيل بن صبيح: الكاتب على ديوان الرسائل والتوقيع السر وضياع الخلافة الخاصة والعوافي لهارون الرشيد، كان كاتباً حافظاً بليغاً، ت 270هـ/883م.؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج9، ص 75.
43. الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص249.
44. أورد ابن النديم في كتابه الفهرست أسماء بعض الكتاب الذين صنفوا في هذه الموضوعات حتى زمانه .ابن النديم ، الفهرست، ص 141-150.
45. الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص62.
46. الجهشياري: الوزراء والكتاب ، ص92.
47. الجهشياري: الوزراء والكتاب ، ص76.
48. الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص139.
49. الجهشياري: الوزراء والكتاب ، ص67.
50. الجهشياري: الوزراء والكتاب ، ص 171
51. الجهشياري: الوزراء والكتاب ، ص 177.

المصادر والمراجع:

أولاً- المصادر:

1. ابن الأثير (علي بن محمد ت 630هـ/1233م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد معوض و عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج3.
2. التنوخي (المحسن بن علي ت: 384هـ/994م): نشوار الحضارة وأخبار المذاكرة، تح: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، 1973م، ج8.
3. الجهشياري (محمد بن عبدوس ت: 334هـ/942م): الوزراء والكتاب، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى الباني الحلبي، القاهرة، ط1، د.ت.
4. الحموي (ياقوت بن عبدالله ت: 626هـ/1229م): معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م، مج5.
5. ابن خلكان (أحمد بن محمد ت 681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978م، ج2.
6. الذهبي (محمد بن أحمد ت: 748هـ/1347): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م، مج7.
7. الذهبي (محمد بن أحمد ت 748هـ/1347): سير أعلام النبلاء، عناية: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، عمّان، 2004م،مج2.
8. ابن الساعي(علي بن أنجب ت:674هـ/1276م): الدر الثمين في أسماء المصنفين ، المطبعة الأميرية، مصر، 1891م.
9. ابن شبة (عمر بن شبة ت 262هـ/877م): تاريخ المدينة المنورة، تح: فهيم محمد شلتوت، د.د، د.م، د.ت، ج1
10. الصابئ (الهلال بن المحسن ت 448هـ/1056م): تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تح: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، د.م، د.ت.

11. الصفدي (خليل بن أيبك ت: 764هـ/1363م): الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م، ج3.
12. الطبري (محمد بن جرير ت: 310هـ923م): تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1990م.
13. المسعودي (علي بن الحسن ت: 346هـ/956م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، د.د، بيروت، 1978م، ج4.
14. ابن منظور (محمد بن مكرم ت 711هـ/1311م): مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تح: أحمد راتب حموش – محمد ناجي العمر، دار الفكر، دمشق، ط1، 1989م، ج26.
15. ابن النديم (محمد بن أبي اسحق ت: 384هـ/994م): الفهرست، تح: رضا نجدد، د.م، طهران، 1971م.
16. الواقدي (محمد بن عمرو ت 207هـ/822م): فتوح الشام، ضبط وتصحيح: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج1.

ثانياً– المراجع:

1. البغدادي(اسماعيل بن محمد):هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار التراث العربي، بيروت، ج 2.
2. الزركلي(خير الدين): الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت،ط15، 2002م،ج1.
3. سالم(السيد عبد العزيز): التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
4. كاشف (سيدة إسماعيل): مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، دار الرائد العربي، بيروت، 1983م.
5. كحالة (عمر رضا): معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993م،ج1.
6. مصطفى(شاكر): التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، 1978م، ج2.

ثالثاً– المجلات والدوريات:

1. عنيزان (فاطمة زبار): بعض الصـــيغ المنهجية في كتاب الوزراء والكتّاب، مجلة كلية التربية، العدد 88، جامعة بغداد، 2015م، مج 21

علم البيزة نشأته ودوافع الاهتمام به والآثار المترتبة عليه خلال الفترة مابين(358-923هـ/969-1517م)

الملخص:

يعرض هذا البحث طريقة تطور العلوم في الحضارة العربية الإسلامية خلال كل من العصر الفاطمي والأيوبي وكذلك المملوكي بوصفها عصوراً شهدت تطوراً كبيراً في مختلف أصناف العلوم، ومن تلك العلوم كان علم البيزرة الذي جاء كنتيجة لتطور العلوم والمعارف الانسانية في العصور الإسلامية السابقة للعصر الفاطمي الذي أصبحت فيه البيزرة علماً قائماً بذاته ومنفصلاً عن البيطرة، واستمر في التطور خلال العصرين الأيوبي والمملوكي.

وعلى فإن الهدف من هذا البحث كان محاولة إلقاء الضوء على علم البيزرة بوصفه أحد العلوم التي أنشأها العرب والمسلمون بداية العصر الفاطمي، والذي يعنى بدراسة الطيور الجارحة، وكيفية تدريبها على الصيد، وعلاج، أمراضها، باحثين في مسببات تطور هذا العلم والنتائج المترتبة عليه.

الكلمات المفتاحية: بيزرة – دوافع – آثار – مؤلفات – الفاطمي – الأيوبي – المملوكي.

Summary:

This research presents the development of sciences in the Arab Islamic civilization during the Fatimid, Ayyubid and Mamluk eras, as eras that witnessed great development in various types of sciences. Among these sciences was the science of aviculture, which came because of the development of human sciences and knowledge in the Islamic eras prior

to the Fatimid era, in which aviculture became an independent science separate from veterinary science and continued to develop during the Ayyubid and Mamluk eras. Therefore, the aim of this research was to attempt to shed light on the science of aviculture as one of the sciences established by Arabs and Muslims at the beginning of the Fatimid era, which is concerned with the study of birds of prey, how to train them for hunting, and treat their diseases, researching the causes of the development of this science and the consequences thereof.

Keywords: Bizra – causes – results – works – Al-Fatimi – Al-Ayyubid – Mamluk.

المحتويات

مقدمة. 99

أولاً: التعريف بعلم البيزرة. 101

1-تعريف علم البيزرة: 101

2-نشأة علم البيزرة: 103

٣: أهم المؤلفات في علم البيزرة: 110

أ: المصايد والمطارد: 110

ب: البيزرة: 111

ت: رسالة الطرد: 111

ج: الاعتبار: 112

د: الكافي في البيزرة: 112

ذ: الجمهرة في علم البيزرة: 112

هـ: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: 112

و: الجوارح وعلم البزدرة: .....**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**

ي: انتهاز الفرص في الصيد والقنص: 113

ثانياً: دوافع الاهتمام بعلم البيزرة من العصر الفاطمي وحتى نهاية العصر المملوكي. 113

1-في العصر الفاطمي: 114

2-في العصر الأيوبي: 118

3-في العصر المملوكي: 122

ثالثاً: الآثار المترتبة على رحلات الصيد من العصر الفاطمي حتى نهاية العصر المملوكي. 126

1-الآثار الاقتصادية: 126

2-الآثار السياسية: 127

3-الآثار العسكرية: 131

4-الأثر العلمي: 131

5-الآثار الفنية: 132

نتائج البحث. 135

قائمة المصادر والمراجع 136

مقدمة.

يعد التطور سمة أساسية رافقت الحياة البشرية على مر العصور التاريخية، وذلك تلبيةً لمتطلبات الحياة واحتياجاتها، ومن تلك الحاجات نشأت العلوم والمعارف التراكمية الإنسانية عبر الزمن.

وتعد المعرفة حجر الزاوية في تطور الحضارة الإسلامية عبر الزمن، والتي برع علماؤها في مختلف أنواع العلوم، واعتنوا بتطويرها عبر الزمن، دفعهم إلى ذلك العديد من الحاجات المختلفة (سياسة – اقتصاد – عسكرة – ترفيه) وما إلى ذلك من الحاجات المتزايدة بتطور الحضارة الإنسانية.

ومن تلك العلوم التي عمل العرب والمسلمون على تطويرها بدءاً من العصر الفاطمي كان علم البيزرة موضوع هذه الدراسة، والذي كان قبيل العصر الفاطمي جزءاً من علم الحيوان، ثم أصبح علماً مستقلاً مختصاً بدراسة الطيور الجارحة وكيفية تدريبها على الصيد ومعالجة أمراضها، وجاءت نشأته وازدهاره خلال العصر الفاطمي نتيجة الخبرات والمعارف التراكمية للعرب والمسلمين خلال العصور الإسلامية السابقة من جهة، بالإضافة إلى الحاجة الملحة التي أخذت مناحي مختلفة حسب كل عصر، كترفيهية في العصر الفاطمي، وعسكرية في العصر الأيوبي، وسياسية في العصر المملوكي، حيث تضافرت العديد من الأسباب دقعت إلى تطوير هذا العلم، وتمخض عنها العديد من النتائج خلال تلك الفترة من تاريخ الحضارة الإسلامية.

إشكالية البحث.

يعد علم البيزرة من العلوم التي يعتريها بعض الغموض في وقتنا الحاضر، فالكثير منا يجهل معنى لفظ البيزرة بدليل قلة الأبحاث التاريخية التي تناولت موضوع هذا العلم، لذلك فأسباب نشأة هذا العلم غير معلومة بشكل واضح، ويعللها المعاصرون بأنها تقترن فقط بالترفيه دون الإشارة إلى دوافع أخرى أو آثار قد تنتج عن تطوير هذا العلم، لذلك فإن إشكالية هذا البحث تتعلق بمحاولة معرفة دوافع العرب والمسلمين لتطوير هذا العلم، ومن ثم البحث في الآثار المترتبة على تطويره، وذلك من خلال محاولة الإجابة على عدد من الأسئلة منها:

- ما هو علم البيزرة، ولماذا سمي بهذا الاسم؟
- كيف تطور هذا العلم مع الزمن، وما هي المجالات التي يتناول هذا العلم دراستها؟
- لماذا نشأ هذا العلم في العصر الفاطمي، وما الغاية وراء نشأته؟
- كيف لعبت الدوافع العسكرية دورها في تطوير هذا العلم في العصر الأيوبي، وكيف تم توظيفه سياسياً خلال العصر المملوكي؟
- وأخيراً ما هي النتائج والآثار المترتبة على تطوير علم البيزرة خلال تلك العصور؟

أهمية البحث.

تكمن أهمية البحث من كونه محاولة لتقصي العوامل التي دفعت كل من الفاطميين والأيوبيين والمماليك للاهتمام بعلم البيزرة الذي أعلِن مع بداية العصر الفاطمي ثم عمل العلماء على تطويره في العصور اللاحقة، ومن ثم دراسة الآثار والنتائج الحضارية التي ترتبت على تطوير هذا العلم خلال الفترة التي يتناول البحث دراستها.

هدف البحث.

يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على حركة النشاط العلمي في العالم الإسلامي بدءاً من العصر الفاطمي وحتى نهاية العصر المملوكي، وإلى التعريف بأهمية علم البيزرة ودوره على المسرح الحضاري للعالم الإسلامي خلال الفترة التي يعنى هذا البحث بدراستها، لكونه أحد العلوم التي نشأت وتطورت ضمن تلك الفترة.

منهج البحث.

سيتم في هذا البحث اتباع المنهج التاريخي بشقيه الوصفي والتحليلي لبلوغ الغاية المرجوة من هذا البحث من خلال التنوع في استخدام المناهج لكتابة هذا البحث، وستتم محاولة الوقوف على مختلف العوامل المؤثرة في نشأة علم البيزرة ودوافعه تطوره والآثار المترتبة على هذا التطور في

جميع المجالات الحضارية السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والثقافية خلال كل من العصر الفاطمي والأيوبي والمملوكي مع تحليل المتغيرات في أشكال الدوافع والآثار في كل عصر على حدى.

وبالتالي فإن نوعية هذا البحث تفرض تقسيمه إلى ثلاث أقسام رئيسية وهي كالتالي:

القسم الأول: يتناول التعريف بعلم البيزرة، والبحث في أصول نشأته، وأهم المؤلفات التي وضعت فيه.

أما القسم الثاني: فيتناول البحث في أهم الأسباب والدوافع للاهتمام بعلم البيزرة خلال كل من العصر الفاطمي والأيوبي والمملوكي.

والقسم الثالث: يعنى بالبحث في الآثار والنتائج المترتبة على الاهتمام بعلم البيزرة في كافة المجالات الحضارية خلال الفترة التي يعنى البحث بدراستها.

أولاً: التعريف بعلم البيزرة.

1-تعريف علم البيزرة:

تعد لفظة البيزرة إحدى الكلمات أو المصطلحات الغريبة على لغتنا العربية وخصوصاً إذا ما ارتبطت بأحد أشهر العلوم التي أبدع فيها العرب والمسلمون وطوروها عبر التاريخ، فمن أين أتت كلمة البيزرة؟، وماهي دلالاتها ومعانيها؟

-لغةً:

يعد غياب لفظ البيزرة أو أحد اشتقاقاته عن معاجم اللغة العربية دليلاً كافياً على أعجمية هذا اللفظ، ومن ثمّ فإننا نجد توافقاً بين جميع المصادر التاريخية العربية والأعجمية على أن لفظ البيزرة فارسي وهو مشتق من طائر الباز وهو أكثر الطيور ضراوة عند الفرس، ويصفه السيد أدي شير

بأنه أشد الجوارح تكبراً[1]، وقال الجواليقي البازي فارسي معرب، ولم يشر أحد إلى تعريبه، ومن اسمه خرجت اشتقاقات أخرى فكلمة بيزار الفارسية عربت بازيار وجمعها بيازرة وكلمة البازيار مركبة من لفظتي باز وهو الطائر الجارح و يار أي حامل، وبذلك يصبح معنى البازيار أو البيزار حامل البازي، وكلتا الكلمتين دخيلتين على اللغة العربية[2].

أما عن سبب تسمية هذا العلم باسم طائر البازي بالتحديد فالمرجح أخذ الاحتمالين أولهما: شدة تكبره وضيق خلقه حسب وقف أدي شير فربما كان البازي مثالاً للعظمة بنظر الفرس، أو أن تواجد هذا الطائر بكثرة في بلاد الفرس ولكونه طائر جامع لجميع الطيور الجارحة وفي ذلك نجد القزويني قال: "البازي لا يكون إلا أنثى، وذكرها يكون من نوع أخر، ولهذا نرى الاختلاف في أشكال البازات[3]".

-اصطلاحاً:

يعد علم البيزرة أحد فروع علم البيطرة فهو من العلوم الطبية التي تختص بدراسة الحيوان[4] ولكن بشكل أكثر تخصصية فهو علم يبحث في أحوال الجوارح من حيث حفظ صحتها وإزالة

[1] : أدي شير(السيد): الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب، القاهرة، ط2، 1988م، ص15.

[2] : الجواليقي (موهوب بن أحمد ت: 540هـ/1146م): المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تح: عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، ط1، 1990م، ص182، 202.

[3] : القزويني (زكريا بن محمد ت:682 هـ/1284م): عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ط1، 2000م، ص337.

[4] : ابن الأكفاني (محمد بن إبراهيم ت: 749 هـ/1349م): ارشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، تح: عبد المنعم عمر، دار الفكر. العربي، القاهرة، د.ت، ص175.

مرضها ومعرفة العلامات الدالة على قوتها في الصيد وضعفها فيه[1]، أي أنه يتصل بعلم الحيوان العام ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالفسيولوجيا أي وظائف الأعضاء[2].

2-نشأة علم البيزرة:

لا يمكن الوقوف عند عصر أو تاريخ معين لتحديد نشأة علم البيزرة، إذ أن الصيد بالطيور الجارحة كان معروفاً لدى الأمم القديمة وعرب الجاهلية منذ القدم، ويتضمن الصيد بالطيور معرفة أصحابها لكيفية تدريبها على الصيد ومعرفة أحوالها من حيث الصحة والنسب وغيرها من أحوال الطيور الجارحة وهو تماماً ما يتضمنه علم البيزرة في مجال البحث والدراسة ، على أن تلك المعارف لم ترقَ لتشكل علماً قائماً بذاته كما في العصور الإسلامية اللاحقة، ومن أسباب ذلك في العصور التي سبقت انتشار الدين الإسلامي هو الانغلاق الثقافي والحضاري إلى حدٍ ما ولا نقصد بذلك الانغلاق المطلق بل نقصد بأنه لا يقارن بالانفتاح الحضاري الذي رافق حركة الفتوح الإسلامية من اندماج سياسي واجتماعي وتسامح ديني، فالشعوب القديمة ومنها العرب كان كلاً منها مختصاً بنوع معين أو عدة أنواع من الطيور لكنها قليلة ويصطاد بها، وبالتالي كانت معرفة الشعوب تتوقف عند معرفة أحوال ذلك الطائر ، وبذلك نجد أن تلك الجوارح كانت تعطي نوعاً من الفوقية فالجاحظ وأبو حيان أحدا ذلك بالقول: "الباز أعجمي والصقر عربي"، وذلك تبعاً لمقولات العرب منذ القدم[3]،

[1] : القنوجي (صديق بن حسن ت: 1889م): أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ص134، طاش كبري زاده (أحمد بن مصطفى ت: 968هـ/1561م): مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، مج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985، ص307.

[2] : زيدان(يوسف): علم البيزرة، مجلة الفيصل، العدد203، الرياض، 1993م، ص104.

[3] : الجاحظ (عمر بن بحر ت: 255ه/869م): الحيوان، ج٦، تح: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1967م، ج٦، ص.478؛ التوحيدي (علي بن محمد ت:

وجاء في أحد المقالات الأجنبية التي نشرت عام2007 بعنوان التلقيح الإسلامي والتفاعلات بالشرق الأوسط في العصر الوسيط[1] "قد يكون للصيد بالجوارح كما مارسه الساسانيون تأثيراً على ممارسة الخلفاء الأمويين له، والذين عرفوا بأنهم أول الحكام العرب ممن استمتعوا بالصيد بالجوارح بالإضافة إلى اهتمامهم برعاية الحيوانات الأخرى وهناك دلائل على وجود نصوص مكتوبة بالرومانية والفارسية عثر عليها في البلاط الأموي وهذا يدل على أن الصيد بالجوارح كان من جوانب الحياة المرفهة إلى جانب علوم من ذلك الزمن الذي تم فيه ترجمة معلومات أجنبية عنه إلى العربية قبل فترة حكم العباسيين[2]، إلا أنه في هذا القول مغالطة بسيطة تكمن في أن خلفاء الأمويين لم يأخذوا حب الصيد والاستمتاع به عن الفرس، كما أنهم لم يكونوا أول من اعتنى بالصيد من حكام العرب فقد سبقهم في ذلك عرب الجاهلية وأشرافهم، إذ أن امرؤ القيس[3] الشاعر المعروف كان أحد أمراء قومه وله مغامرات وأشعار في الصيد، كما ان حمزة بن عبد المطلب[4] وهو من سادات قريش أسلم أثناء عودته من الصيد، ومن المعرف حب العرب للصيد وولعهم به وشهرتهم فيه فالأمويون كانوا أهل بداوة يحبون الصحراء والصيد بها، كما أن الأمويين شيدوا الأبنية لأغراض متعددة ومنها

414هـ/1024م): البصائر والذخائر، تح: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط١، 1988م، ص78.

[1] : تعذر الحصول على المرجع.

[2] : التميمي(فارس): الوافي في صقور الصيد،CANADA GULFOSAK ،ط١، ٢٠١٤، ص٧٦-٧٧.

[3] : امرؤ القيس: هو حنبج بن حارث الكندي المتوفي سنة ٥٤٠ م، يعد أبرز شعراء العرب في التاريخ ووصف بأنه أشعر الناس وصاحب أشهر معلقة من المعلقات؛ علي (جواد): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٦، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠١، ص٥١.

[4] : حمزة بن عبدالمطلب: هو حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو عمارة عم الرسول صلى الله عليه وسلم وأخوه بالرضاعة توفي سنه٣٤ الذهبي (محمد بن أحمد ت: ٧٤٨ه/ ١٣٤٨م): سير أعلام النبلاء ، تح: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، بيروت، ٢٠٠٤، ص٢٦٧٢-٢٦٧٣.

الصيد، كما أنهم اي الأمويين كانوا قد تأثروا بمظاهر الحضارة البيزنطية أكثر ما تأثروا بالحضارة الفارسية والسبب في ذلك يرجع لكون دمشق مقراً لحكمهم وبلاد الشام عامةً كانت خاضعة للنفوذ البيزنطي لقرون خلت وكان هذا التأثير قد لاقى طريقه للأمويين منذ بدأ الفتوحات، وتولي معاوية بن أبي سفيان لولاية الشام منذ عهد الخلفاء الراشدين قبل أن ينجح في تأسيس دولته الأموية، وكان قد أخذ عن البيزنطيين طرقهم في المجالات الإدارية والعسكرية وحتى في صك النقود وطرز العمارة[1]، لكننا لا نجد مثل هذا الأثر للحضارة الفارسية لدى الأمويين كما أن الصيد بالطيور الجارحة كان معروفاً لدى الروم وخلفائهم البيزنطيين منذ القدم إذ أن الروم كما يذكر عنهم أنهم أول من اصطاد بالشاهين والعقاب، وبالتأكيد أن ذلك لا يلغي الأثر الفارسي في الحضارة العربية الإسلامية إلا أن هذا الأثر بدأ يظهر بوضوح منذ أن تولى العباسيين زعامة العالم الإسلامي وقربوهم إليهم وتأثروا بهم كما ذكرنا سابقاً.

وبالعودة إلى نشأة علم البيزرة يمكن القول أن البداية الحقيقية لهذا العلم كانت مواكبة لفترة الفتوحات الإسلامية التي سمحت بتبادل حضاري رفيع المستوى لاسيما في المجال العلمي، والمعرفي وأدت لتلاقي الخبرات لمتراكمة لكل من العرب والفرس والروم في بوتقة واحدة هي الخضارة العربية الإسلامية، ودليل ذلك أن مصطلح البيزرة لم يكن مستخدماً لدى العرب قبل هذا الاندماج الحضاري، ونخص الفترة العباسية بهذا الشأن لكونها شهدت حركة ترجمة ضخمة لجميع المعارف الإنسانية والعلوم الطبيعية والطبية[2] والتي احتوت دون شك على مؤلفات تخص علوم الطير والحيوان وطرق الصيد، بدليل قيام ميخائيل بن ليون[3] وهو من كبار الروم بإهداء الخليفة المهدي كتاباً في

[1] : العزاوي (عبد الرحمن): تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار الخليج، عمان، ط١، ٢٠١١، ١٣٥.

[2] : حتي (فيليب) وآخرون: تاريخ العرب، ج٢، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، لبنان، 1950م، ص38.

[3] : ميخائيل بن ليون: أحد أمراء السلالة الآيسورية التي حكمت بيزنطة بين عامي 98-204ه/717-820م، وهو ابن الإمبراطور ليون الرابع، ولم يرد ذكر اسمه في قائمة الأباطرة

فن البيزرة كان لأوائل الروم[1]، إذ كان للروم باعهم الطويل في هذا المجال أيضاً، وهنا علينا الإشادة بالدبلوماسية العباسية التي كان لها أثرها في تطور وازدهار العلوم عهد العباسيين، فالخلافة العباسية سعت الى بناء علاقات طيبة مع دول العالم آنذاك كالهند والصين والفرنجة وحتى الإمبراطورية البيزنطية العدو اللدود للدولة الاسلامية[2]، في حين كانت العلاقة مه هذه الدول تتسم بالعدائية في عهد الأمويين، كذلك لعب شغف الخلفاء دوره أيضاً في تطور العلوم الى جانب الدبلوماسية، إذ وجد من بين السفارات العديدة بين الخلافة العباسية ومختلف الأطراف سفاراتٌ لأغراضٍ علمية وثقافية، وبلغ من ذلك أن أبو جعفر المنصور(١٣٦-١٥٠هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م)[3] بعث إلى إمبراطور بيزنطة يطلب كتباً يونانية فأجابه على ذلك وأرسل الأخير عدداً من الكتب الغنية بكافة مجالات العلوم والفلسفات[4]، كما كان لأسرة البرامكة[5] دورها الكبير في هذا الصدد إذ عملوا على رعاية حركة

البيزنطيين أي أنه لم يتولَ العرش بعد والده.؛ بينز (نورمان): الإمبراطورية البيزنطية، تعريب: حسين مؤنس-محمود زايد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1950م، ص397.

[1] : الباشا (عبد الرحمن رأفت): الصيد عند العرب، دار النفائس، بيروت، ط2، 1978م، ص46.

[2] : اينهارد (ت: 840م): سيرة شارلمان، تر: عادل زيتون، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1989م، ص104.؛ الصيني (بدرالدين حي): العلاقات بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1950م، ص39-40.؛ عبد اللطيف (أحمد): العلاقات الدبلوماسية للخلافة العباسية من عام 132-232ه، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2004م، ص83-90.

[3] : أبو جعفر المنصور: هو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي توفي سنه ١٥٨ه؛ المقدسي (محمد بن طاهر ت.٥٠٧ه/ ١١١٣م): معرفة الألقاب، تح: عدنان أبو زيد، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، ط١، ٢٠٠١، ص ١٧٨.

[4] : العدوي (إبراهيم أحمد): الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، مكتبة نهضة مصر، مصر، 1951م، ص143-144.

[5] :البرامكة: هم أسرة فارسية عريقة قديمة، وكلمة برامكة مشتقة من كلمة برمك وهي ليست اسماً لشخص وإنما لقبٌ اطلق على كاهن معبدٍ قديم من مدينة بلخ، وقد اعتنقت هذه الأسرة الإسلام على

المذهب الشيعي وكان أول اتصال لها بالعباسيين عن طريق خالد بن برمك الذي اشترك في الدعوة العباسية، وقد تطور نفوذ هؤلاء مع الزمن حتى تمكنوا من التحكم بمفاصل الدولة عهد الخليفة هارون الرشيد، واستأثروا بأموال الدولة ما دفع الرشيد لنكبتهم.؛ ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد ت: 808هـ/1406م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، عناية: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمّان، د.ت، ص14.؛ العبادي (مختار أحمد): في التاريخ العباسي والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص81-84.

الترجمة من الفارسية الى العربية[1]، لكن الازدهار كان في عهد الخليفة المأمون[2] الذي أرسل البعثات العلمية الى القسطنطنية[3] وقبرص[4] للبحث عن نفائس الكتب العلمية ونقلها الى مكتبة بيت الحكمة[5]، وكان من ضمن تلك المؤلفات كتب تتعلق بالحيوان والصيد دون شك إذ لابد أن الخلفاء العباسيين كانوا يطلبونها نظراً لتعلقهم بالصيد وولعهم به إذ أخذ العرب الكثير من مصنفات علم الحيوان عن

[1] : عبيد (رشا السر): النهضة الحضارية في العصر العباسي الأول (132-232ه/750-847م)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزيرة، السودان، 2017م، ص203.

[2] : المأمون: هو أبو العباس عبدالله بن هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، تولى الخلافة سنة 198ه وبقي فيها حتى توفي سنة 218ه.؛ ابن الكازورني (علي بن محمد ت: 697ه/1297م): مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تح: مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، بغداد، 1970م، ص134-136.

[3] : القسطنطنية: هي عاصمة بلاد الروم، انتقل ملكها من قسطنطين الأكبر الى بيزنطة وبنى عليها سوراً وسماها القسطنطنية.؛ البكري (عبدالله بن عبدالعزيز ت: 487هـ/1095م): المسالك والممالك، ج٢، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ٢٠٠٣، ص٤٨.

[4] : قبرص: جزيرة في بحر الروم قريبة من الساحل الشامي وكل أهلها من النصارى، يقارب حجمها حجم جزيرة اقريطش(كريت)، افتتحها المسلمون في عهد معاوية بن أبي سفيان صلحاً ودخلت في هدنة مع المسلمين.؛ الاصطخري (إبراهيم بن محمد ت: 346ه/958م): المسالك والممالك، مراجعة: محمد شفيق غربال، دار الذخائر، القاهرة، 2003م، ص51.؛ أيوب (إبراهيم): التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط1، 1989م، ص88.

[5] : بيت الحكمة: هي أول مكتبة عامة وأكاديمية تقام في البلاد الإسلامية، أنشأها الخليفة العباسي هارون الرشيد وزودها بكل ما نقل الى العربية من كتب الطب وعلم الفلك والنجوم وغيرها.؛ عليان (ربحي مصطفى): المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1999م، ص146.

أرسطو[1] وابقراط[2] ثم توسعوا في تشريح الحيوانات ووصفوا أمراضها ومن ضمنها الطيور[3] التي كانت لا تزال تندرج تحت مسمى علة البيطرة الذي يبحث في جميع أصناف الحيوانات دون تخصص في نوعٍ دون غيره، ولكنهم مهدوا الطريق أمام دراساتٍ أكثر تخصصاً في المستقبل، وستصبح تلك الدراسات علوماً قائمة بذاتها فيما بعد كالبيزرة.

وقد أتت سياسات العباسيين وشغفهم بالعلم ثمارها، إذ لم يكد يحل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي حتى بدأت تظهر المؤلفات العربية على ساحة علوم الحيوان بشتى أصنافه، ولعل أشهر تلك المؤلفات في البداية كان كتاب الحيوان للعالم الشهير عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ ت 255هـ/868م الذي يعد ثورة حقيقية في تاريخ علم الحيوان في عصره، كما عُد مرجعاً رئيسياً لكثير من المؤلفات التي ستتناول الحديث عن علوم البيطرة والبيزرة في قرونٍ لاحقة.

---

[1] : ارسطو: اسمه الأصلي أرسطاطاليس ولد في السنة الأولى من الأولمبياد التاسع والتسعين وتوفي في السنة الثالثة من الأولمبياد الرابع عشر بعد المئة وعمره ثلاث. وستون أي أنه عاش في القرن الرابع ق.م. ولد ونشأ في مدينة مقدونية اليونانية وأصبح من أشهر فلاسفة عصره، اشتهر في جميع العلوم ولاسيما الفلسفة والسياسية وهذا ما جعل ملك مقدونيا فيليب يعيّنه مؤدباً لابنه الاسكندر الأكبر الفاتح الشهير، واستمر في عمله هذا مدة ثمان سنوات إلى أن انطلق الاسكندر في حملته الشهيرة نحو الشرق.؛ المليطي (طاليس): تاريخ الفلاسفة، تر: السيد عبدالله حسين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2007م، ص133-135.

[2] : ابقراط: من أعظم حكماء وأطباء عصره في بلاد اليونان، وكان والده طبيباً فنشأ ومارس صناعته بين آلاف المرضى والسياح، وذاعت شهرته حتى كان من بين مرضاه بردكاس ملك مقدونية وأردشير الأول ملك الفرس، كما استدعته أثينا ليحاول وقف الطاعون فيها، ويرجع له الفضل في تحرير الطب من الدين والفلسفة توفي حوالي سنة 370ق.م عن عمر يناهز 83 عاماً.؛ غالب (مصطفى): ابقراط، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1986م، ص10-11.

[3] : داغر(أسعد): حضارة العرب: تاريخهم-علومهم-آدابهم-اخلاقهم-عاداتهم، مطبعة هندية، مصر، 1918م، ص203.

ويعد منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي هو التاريخ الحقيقي لولادة علم البيزرة كعلم قائم بذاته ففي منتصف هذا القرن صدر أول مؤلف مختص بعلم الطيور الجارحة وكيفية الصيد بها على يد البازيار العزيز بالله الفاطمي الذي عاش في بداية العصر الفاطمي، وقد حمل هذا المؤلَف اسم العلم نفسه (البيزرة) معلناً عن علمٍ جديد وفاتحاً لصفحةٍ جديدة في دراسات علم الحيوان.

ولابد قبيل الخوض في غمار الحديث عن الدوافع والأثار التي ترتبت على اهتمام العرب والمسلمين بعلم البيزرة التحدث عن أهم المؤلفات التي كتبها المؤرخون في هذا العلم من العصر الفاطمي حتى نهاية العصر المملوكي.

٣: أهم المؤلفات في علم البيزرة:

لم يكن أمر الكتابة و التأليف بعلم البيزرة وليد العصر الفاطمي، إنما جاء نتيجه لتراكم الخبرات والمعارف فيما يخص الطيور الجارحة حتى انتهى الأمر بأن أصبح علم البيزرة علماً قائماً بذاته منذ العصر الفاطمي، ومما يدل على ذلك أن أول من وضع مؤلف خاص بالبيزرة استند في مؤلفه على كتب سابقه حوت معلومات كثيرة عن الطيور الجارحه، وأهمها كتاب كشاجم والمعنون بالمصايد والمطارد وهو الكتاب الذي أخذ منه الحسن بن الحسين المعروف بالبازيار والذي يعد المطلق الفعلي لهذا العلم معلومات كثيرة تخص الجوارح، لذلك وعند الحديث عن المؤلفات لابد أن ننطلق من كتاب كشاجم والذي يعد نقطة بداية التأليف والكتابه في علم البيزرة وعليه استند الكثير من المؤرخين في العصور الإسلامية اللاحقة.

أ: المصايد والمطارد:

ومؤلفه الشاعر والأديب والكاتب أبو الفتح محمود بن محمد بن الحسين بن السندي والمعروف بـ كشاجم.

انتهى المؤلف من الكتاب سنه ٣٥٨هـ/ ٩١٨م[1]، ويتناول أحكام الصيد في الإسلام بين مايحلل صيده وما يحرم وكيفية تضرية حيوانات الصيد وسلوكها، وخصص المؤلف فصلاً كاملاً للحديث عن الجوارح على مختلف أنواعها، وكيفية تضريتها، وأمراضها، وعلاجها.

ب: البيزرة:

وهو المؤلف الذي وضعه أبي عبدالله الحسن بن الحسين المعروف بالبازيار(٣٧٥-٣٦٨هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م)[2]، ويعد أول كتاب مختص بعلم البيزرة كعلم منفصل عن علم الحيوان أي أن هذا الكتاب كان بمثابه الانطلاقة الحقيقية لعلم البيزرة، ويتناول الحديث عن الطيور الجارحه وأنواعها وجميع مايتعلق بها من ألوانها وتضريتها وصحتها وأمراضها وعلاجها ، وقد جاء هذا الكتاب مقسماً لسبعه أبواب لكل طير من الجوارح قسم خاص به.

ت: رسالة الطرد:

مؤلف هذه الرساله أبي الطيب الباخزري المقتول سنة (٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م) ويعود تاريخها للعصر الفاطمي، وهي مخطوطة لم يسبق نشرها، كان مؤلفها قريباً من الحكام فهو أديب وشاعر على مايهواه الملوك، لذا فقد حوت رسالته الكثير من الأبيات الشعرية التي تصف منافع الصيد ولم ترد عند غيره[3].

[1] : ابن العماد (عبد الحي ت. ١٠٨٩ه/١٦٧٩م) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٣، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩، ص ٣٧-٣٨.

[2] : البازيار (الحسن بن الحسين ت. ٣٦٨ه/٩٩٧م): البيزرة، علق عليه: محمد كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، دمشق، ١٩٥٣، ص٩.

[3] : الذهبي: سير أعلام النبلاء، ص ٤٩٠، ١١٨٥.

ج: الاعتبار:

وهو المؤلف الذي وضعه أسامه بن منقذ الكناني الشيزري (٥٨٤ه/١١٨٨م)، والمعروف بمؤيد الدولة، ويعود للعصر الأيوبي، حوى الكتاب على الكثير من المعلومات عن بلاد الشام إلا أن ما يهمنا هو الفصل الأخير الذي خصصه المؤلف للحديث عن الصيد والقنص بالجوارح وكيفية العناية بالبزاة وتهيئتها للصيد[1].

ح: الكافي في البيزرة:

وضعه عبد الرحمن بن محمد البلدي الذي توفي في القرن ٦ه/١٢م، يتناول الكتاب بمجمله الحديث عن صنعه البيزرة ووظيفة البازيار مقسماً لأربع أقسام كل قسم يضم أربع أبواب وجميعها تصب في وظيفة البازيار، اعتمد الكاتب على مؤلفات الأقدمين وما يميزه عن غيره هو خلو كتابه من الحشو والإطالة التي وردت عند غيره، وكان المؤلف قد شغل وظيفة البازيار[2].

ه: الجمهرة في علم البيزرة:

ينسب هذا الكتاب لعبسي بن حسان الأسدي المتوفي في القرن ٦ه/ ١٢م[3]، قسم المؤلف الكتاب إلى جزأين أولهما الأكبر أورد فيه آيات حل الصيد وآلات الصيد وأدواته وجوارحه وضواريه وكل ما يتعلق بالجوارح من صحتها وآداب معاملتها ومن ولع بالصيد بها، بينما خصص القسم الثاني لطب الجوارح والضواري.

و: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات:

[1] : الشيزري (أسامة بن منقذ . ٥٤٨ه/١١٨٨م): الاعتبار، علق عليه: عبد الكريم الناشري، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣، ص١٧-٢٩٤-٣٤١.

[2] : التميمي: الوافي، ص ٧٧.

[3] : الباشا: الصيد عند العرب، ص ٢٦٩.

ألفه الشيخ الإمام زكريا بن محمد بن محمود الكوفي القزويني ت٦٨٢هـ/ ١١٨٣م[1]، وعلى الرغم من أن هذا الكتاب قد تحدث فيه مؤلفه عن عجائب الدنيا من إنسان وحيوان ونبات وجماد وغيرها، إلا أنه أفرد المؤلف باباً خاصا للطيور المعروفة في ذلك الوقت، وما يميز هذا الكتاب عن غيره أنه أولى عناية فائقة بطائر الباز.

ي: انتهاز الفرص في الصيد والقنص:

يعد هذا الكتاب من أوسع ما تم تأليفه في فن الصيد وينسب للإمام الحافظ تقي الدين أبي العباس حمزة بن عبد المطلب محمد بن محمد بن علي الناصري اليمني الزبيدي ت ٩٢٦هـ/ ١٥٢م[2]، يتضمن خمسة أبواب والباب الرابع منه خصصه المؤلف للحديث عن الجوارح وذكر صفاتها وما يصلح منها للتضريه وما لا يصلح.

ثانياً: دوافع الاهتمام بعلم البيزرة من العصر الفاطمي وحتى نهاية العصر المملوكي.

لطالما كان الصيد بكافة أشكاله وطرقه من وسائل التسلية والترفيه الأبرز في الحضارة العربية الإسلامية منذ نشأتها، فهو وسيلة الترفيه الأمتع والأكثر فائدة عقلياً وبدنياً لمن يمارسه، كما أنه يعد جزءاً لا يتجزأ من الفروسية التي لطالما تغنى بها المسلمون، وحظي الصيد بالجوارح اهتمام الخلفاء والسلاطين وخاصيتهم.

وكذلك كان الصيد بالجوارح معروف لدى العرب منذ جاهليتهم، واستمر خلال العصور الإسلامية الأولى كأحد أهم وسائل الترفيه، لكنها لقيت اهتماماً خاصاً بدأً من العصر الفاطمي فاق ما كانت لقيته هذه الرياضة من الاهتمام في العصور السابقة، واستمرت كذلك حتى نهاية العصر

[1] : القزويني: عجائب المخلوقات، ص٩.

[2] الناشري (حمزة بن عبدالله ت. ٩٢٦ه/١٥٢٠م): انتهاز الفرص في الصيد والقنص، تح: عبدالله محمد الحبشي، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، د.م، ١٩٨٥، ص ٦-٧.

المملوكي، فقد مارسه خلفاء الفاطميين وسلاطين الأيوبيين والمماليك بكثرة، حتى تكاد لا تخلو سيرة أحدهم من مغامرات الصيد الخاصة به.

1-في العصر الفاطمي:

نال الصيد بالجوارح والأمور المرتبطة بهذه الطريقة من طرق الصيد مكانة كبيرة في العصر الفاطمي فاقت مكانته في العصور الإسلامية السابقة، ويكفينا نشأة علم البيزرة في عهد خلفاء الفاطميين وانتشار مهنة البازيار كمهنة رفيعة الشأن أوصلت ممتهنيها الى مكانة مرموقة لدى الخلفاء في بعض الأحيان كدليل على مدى شدة اهتمام الفاطميين بالصيد والجوارح، ومثال ذلك أن الحسن بن الحسين البازيار مؤلف كتاب البيزرة الذي يعد المُطلق الفعلي لهذا العلم قد وصل الى مرتبة الوزارة في عهد الخليفة العزيز بالله نزار[1] الفاطمي، الذي كان شغوفاً بالصيد بالجوارح[2].

كما أن الجديد في هذا العصر أن حرفة الصيد بالطيور الجارحة أصبحت تقترن بالملوك والأمراء أكثر من أي وقت مضى[3]، فالعزيز بالله الفاطمي كان مهتماً باستيراد الطيور النادرة

[1] : العزيز بالله نزار: هو العزيز بالله أبي منصور نزار بن المعز بالله معد بالله الفاطمي العبيدي وهو ثاني خلفاء عبيد الله بمصر، تولى الخلافة بعد موت أبيه المعز سنه ٣٦٥ ه، توفي سنه ٣٨٦ه؛ ابن اياس (محمد بن أحمد ت : ٩٣٠ه/ ١٥٢٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، مطابع الشعب، د.م، د.ت، ص ١٩٢، ١٩٧.

[2] : البازيار: البيزرة، ص8.

[3] : عبد اللطيف (ميرفت)، عبد الجابر (أحمد): رياضة الصيد والقنص في مصر الإسلامية من العصر الفاطمي وحتى نهاية العصر المملوكي (358-923ه/969-1517م)، المجلة الدولية للتراث والسياحة والضيافة، مج14، عدد2، الفيوم، 2020م، ص345.

المستخدمة في الصيد من جميع الجهات، إذ ذكر الحسن بن الحسين البازيار أن وصل الى قصر خلافة العزيز مئة باز في ليلة واحدة[1]، وربما كان هو المشرف على تدريبهم.

ولم يكن الأمر مقتصراً على الخليفة العزيز فحسب، بل كان الاهتمام بنوادر الطيور غالباً على سائر الخلفاء الفاطميين ورجال الدولة لدرجة أنهم قاموا بإنشاء دار خاصة بالطيور سميت بدار الطيور، وتحوي الطريف والنادر من الطيور[2]، ولا شك أن أهمها جوارح الصيد.

وفي عصر الخليفة الحاكم[3] 386-411هـ/996-1021م، لاقى الصيد اهتماماً وولعاً كبيراً من قبله، فقد كان الحاكم مغرماً بصيد الوحوش، وخاصة الأسود منها، فكان كثير الخروج للصيد في ضواحي القاهرة، لكن المكان الأبرز لخروجه كان في موقع يعرف بدير شهران[4]، بدلالة أن الخليفة الحاكم أقام له قصراً فيها للإقامة به عند خروجه الى الصيد[5]، وذكر عنه أيضاً أنه احتفل بمتولي الأسود ووهبه الهبات والخلع، كما أنه أصدر أماناً لسائر البيازرة والفهادين[6]، إذ كان يكره رجال دولته ويتحين الفرصة لسفك دمائهم، لكن هذا الأمان يعد دليلاً كبيراً على ولع الخليفة بالصيد

[1] :البازيار: البيزرة، ص69.

[2] : عبد اللطيف، عبد الجابر: رياضة الصيد والقنص، ص350.

[3] : الحاكم: هو الحاكم بأمر الله ابن الخليفة العزيز بالله، ولقبه المنصور ويكنى أبو علي، ولد في القاهرة المعزية سنة 375ه، ووالدته أم ولد تنحدر من أسرة نصرانية عريقة، تولى الخلافة بعد وفاة والده العزيز سنة 386ه وله من العمر إحدى عشر عاماً، توفي سنة 411ه، ويعد من أكثر الشخصيات التي عرفها العالم الإسلامي غموضاً والتي نسجت عنها الكثير من الحكايات وذلك لتناقض تصرفاته.؛ تامر (عارف): الحاكم بأمر الله. خليفة وإمام ومُصلح، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1982م، ص17-18.

[4] : دير شهران: لم يأتي الحموي على ذكر هذا المكان في معجم البلدان.

[5] : عبد اللطيف، عبد الجابر: رياضة الصيد والقنص، ص350.

[6] : المقريزي (أحمد بن علي ت: 845ه/1422م): اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج٢، تح: محمد أحمد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1996م، ص48،56.

وممتهنيه، فالحاكم لم يكن متزناً، وكان ميالاً لسفك الدماء حسب ما وصفته أكثر المصادر الإسلامية، وطالت سيوفه جميع المقربين منه دون استثناء، عدا البيازرة وأصحاب الصيد كما وضحنا.

وفي عهد الخليفة الظاهر[1](411-427هـ/1020-1035م) الذي تولى الحكم بعد اختفاء أبيه الحاكم وهو لا يزال صبياً في عمر ال 16[2]، كان الصيد من الأمور التي غلبت على اهتمامات رجال البلاط وفي مقدمتهم الخليفة نفسه، فكان الخليفة الظاهر كثير الخروج في رحلات الصيد خارج القاهرة، وكان مغرماً بصيد الطيور واقتنائها وخاصة الببغاء، وكان ينفق في شرائها أموالاً طائلة[3].

واستمر خلفاء الفاطميين على هذه العادة، ففي عهد الخليفة الآمر[4](495-524هـ/1101-1129م) خضعت الدولة الفاطمية لسيطرة الوزراء نتيجة لصغر سن الخلفاء وانغماسهم في حياة اللهو والترف[5]، فكان هذا الخليفة محباً لحياة اللهو والمرح مقبلاً على الصيد، فكان يتردد على دير

[1] : الظاهر: هو الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي بن الحاكم بأمر الله، وأمه أم ولد تدعى رقية، ويقال اسمها آمنة بنت الأمير عبدالله بن المعز، بويع له بالخلافة في غيد الأضحى سنة 411ه وله من العمر ست عشر عاماً، ت427ه.؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج2، ص124.

[2] : العبادي (أحمد مختار): في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص294.

[3] : سلطان (عبد المنعم): الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2009م، ص233.

[4] : الآمر: هو الآمر بأحكام الله أبو علي المنصور بن المستعلي بالله أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم معدّ، ولد سنة 490ه، وبويع له بالخلافة وعمره خمس سنوات، ت524ه.؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج3، ص29،31،137.

[5] : العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص307.

نهيا[1] ويفضله على غيره من مناطق الصيد، لإحاطته بالمياه وكثرة منتزهاته وتنوع الطيور فيه[2]، ويبدو أن أعداد البيازرة قد تضاعفت في عهد هذا الخليفة ما دفع زمام البيازرة إلى الشكوى للخليفة من ضيق دار الطيور بمصر بهؤلاء، وسأل أن يسمح للبيازرة في عمارة حارة على شاطئ الخليج لحاجة الطيور والوحوش الى الماء فأذن له بذلك[3]، إذ يبدو أن المسؤول عن هؤلاء البيازرة كان قد وصل الى مرحلة من النفوذ لدرجة أن طلباته كان مجابة عند الخليفة.

كما امتلك الخليفة الحافظ[4](524–544هـ/1129–1149م) جوارح كثيرة من البزاة والصقور والشواهين، وكان لتلك الطيور زمام يخرج بهم مرتين في الأسبوع بصحبة عدد كبير من البيازرة الذين يحملون الجوارح على أيديهم لتمرينهم على الصيد[5].

والأمثلة على ولع الخلفاء بالصيد وحبهم له كثيرة، ولا يسعنا ذكر جميعها، إنما اكتفينا بذكر ما يبين مدى اهتمام خلفاء الفاطميين بالصيد.

أما عن الأسباب التي دفعت الفاطميين لإعطاء هذه الأولوية للصيد بالجوارح دون غيره من النشاطات الرياضية والترفيهية، فيمكن القول أن الرخاء الذي وصلت له الدولة الفاطمية خلال

---

[1] : دير نهيا: يقع في الجيزة في أرض مصر.؛ الحموي (ياقوت بن عبدالله ت: 626ه/1229م): معجم البلدان، مج٢، دار صادر، بيروت، 1977م، ص539.

[2] : الشابشتي (علي بن محمد ت: 388ه/998م): الديارات، تح: كوركيس عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ط3، 1986م، ص294.؛ عبد اللطيف، عبد الجابر: رياضة الصيد والقنص، ص353.

[3] : عبد اللطيف، عبد الجابر: رياضة الصيد والقنص، ص353.

[4] : الحافظ: الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم محمد بن المستنصر بالله أبي تميم معدّ، تولى الخلافة يوم مقتل الخليفة الآمر كفيلاً لابن الآمر الذي لم يكن قد ولد بعد سنة 524ه، ت544ه وله من العمر ست وسبعون عاماً.؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج3، ص135-137،189.

[5] : سلطان: الحياة الاجتماعية، ص238.

القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين كان السبب المباشر وراء هذا الاهتمام، فكلما زاد الغنى زاد الترف والذي يعد ممارسة الملوك للصيد أحد أوجهه في العصر الوسيط.

2-في العصر الأيوبي:

شهد العصر الأيوبي اختلافاً كبيراً عن سابقه الفاطمي، فالعصر الأيوبي كان عصر حروب ونزاعات وقلاقل، ولم يكن عصر رخاء واستقرار، فالعصر الأيوبي يعد من أكثر العصور تقشفاً من بين عصور الحضارة العربية الإسلامية، وكان الصراع مع الصليبيين هو الشغل الشاغل لدى سلاطين بني أيوب، فلم يكد هؤلاء يفرغون من حرب حتى يدخلون أخرى، ومع ذلك لا يخلو عصرهم من الاهتمام برحلات الصيد بالجوارح وغيرها كإحدى أهم وسائل الترفيه عن النفس التي كان سلاطين الأيوبيين وجنودهم بحاجة لها بين الفينة والأخرى للتنعم بحلة الحياة وأخذ بعض الراحة، وفي نفس الوقت تعد رحلات الصيد هي الوسيلة الأفضل لتدريب الجنود وجعل الجيوش على أهبة الاستعداد للتصدي للخطر الصليبي الذي لم ينفك يهدد الأمة الإسلامية منذ دخوله الأراضي الشامية أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

ونبدأ في هذا العصر بصلاح الدين الأيوبي أشهر القادة الفاتحين والسلاطين المحررين في التاريخ الإسلامي، فمن المعروف عنه أنه نذر حياته للجهاد في وجه الاحتلال الصليبي للساحل الشامي، ومع ذلك لم يكن هذا السلطان يتوانى عن استغلال أوقات فراغه في ممارسة الصيد هوايته المفضلة لنسيان هموم الحرب ومشاغل الحكم، ولا نجد غرابة في اهتمام صلاح الدين بالصيد الى هذا الحد، فهو الوسيلة الأفضل لتدريب الفرسان على الكر والفر والفروسية بدليل أن اهتمامه بالخيل

فاق اهتمامه بالصيد، فوصِف العصر الأيوبي بأنه عصر صيد وفروسية وقلاع، فاتخذ الفرسان الصيد واقتنوا آلاته وطيوره لإرهاف الحاسة وسرعة البديهة وترقب الفرصة[1].

ومارس صلاح الدين الصيد في كل أوقات فراغه ولاسيما في أوقات الهدنة والسلم، وخرج من أجله الى العديد من الأماكن للصيد في مصر والشام، ففي سنة 571هـ/1175م عقد هدنة مع الصليبيين واذن لجيشه بالعودة الى مصر فيما أقام هو مع طائفة يسيرة من جنده في دمشق لتفقد احوالها والخروج للصيد[2]، وقيل في مدحه:

سواك السهم العلا لن يريشا فنسأل رب العلا ان تعيشا

من الناس بالبِر صدت الكرام وبالبأس في البَر صدت الوحوشا[3]

وبعد عودته إلى مصر في العام التالي ليتفقد أحوالها لم يهمل الصيد، فكثيراً ما كان يخرج مع حاشيته الى الصحاري للصيد وبالأخص الى فاقوس[4] حيث الصحاري الواسعة والبراري الشاسعة

[1] : الأهل (عبد العزيز سيد): أيام صلاح الدين، المجلس العلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط 10، 1964م، ص37.

[2] : سيد (عبد الهادي محمد): الرياضة والتنزه في العصر الأيوبي بمصر والشام 567-648ه/1171-1250م، مج٣، الأزهر العلمية، عدد 40، أسيوط، 2021م، ص2181.

[3] : أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل ت: 665ه/1266م): الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج٢،علق عليه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص255.

[4] : فاقوس: اسم مدينة في حوض مصر الشرقي، وهي في آخر ديار مصر من جهة الشام.؛ الحموي: معجم البلدان، مج4، ص232.

التي تعج بالحيوانات البرية والطيور، حيث أقام هناك لفترة من الزمن للصيد والقنص، وقيل أن ذلك كان لإرهاب الإفرنج[1].

ولا تخلو سنة من حياة صلاح الدين الأيوبي إلا وذكر أنه خرج للصيد فيها، أكان ذلك في مصر أو الشام، والحق يقال أن الهدف من تلك الرحلات في هذا الزمن العصيب لم يكن بغرض التسلية وحسب، فإذا كان خروجه الى فاقوس لإرهاب الفرنج، فلا عجب أن تكون رحلاته الأخرى في مختلف المناطق المصرية والشامية تحمل الهدف نفسه، لاستعراض قواته ومدى صلابة جنده، وربما كان لبعضها ما يحمل طابعاً تفتيشياً، بما معناه دوريات استطلاعية للاطلاع على أخبار الأعداء وجهوزيتهم والتربص بهم، زد على ذلك أن خروجه على رأس قواته بشكل دائم في مناطق متفرقة من مصر وبلاد الشام يحبط أي محاولة للإمارات الشامية بالتحديد للخروج عليه، أو محاولة التحالف مع الإفرنج، والسبب الذي دفعنا على الأخذ بهذا الاعتقاد هو ان هذا ما حصل بالفعل في عهد خلفاء صلاح الدين ما أدى إلى إضعاف الدولة الأيوبية .

ولم يكن خلفاء صلاح الدين وأمراء الأيوبيين عامة أقل حظاً منه في ولعهم بالصيد بكافه أشكاله، على الرغم من أهداف رحلات الصيد لدى بعضهم لم يكن أكثر من مجرد حب التسلية والتنزه، وليس تدريب الجيوش والفرسان على الحرب وترهيب العدو، فنجد العزيز عثمان[2](595-

[1] : البنداري (الفتح بن علي ت: 643ه/1245م): سنا البرق الشامي، تح: فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م، ص124-125.؛ ابن واصل (محمد بن سالم ت: 697ه/1298م): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٢، تح: جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1952م، ص57.

[2] : العزيز عثمان: هو عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب، صاحب مصر، ولد سنة 567ه، وكان صلاح الدين يحبه، وكان جواداً سمحاً عادلاً منصفاً كثير الخير، رفيقاً ت595ه.؛ سبط ابن الجوزي (يوسف بن قزأوغلي ت: 654ه/1256م): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج٢٢، تح: إبراهيم الزيبق، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط1، 2013م، ص68-69.

589هـ/1193-1199م) محباً للصيد مكثراً الخروج لممارسته في مصر، ويتردد على الفيوم[1] بشكل خاص، ويذكر سبط ابن الجوزي انه دفع حياته ثمناً لولعه بالصيد، وذلك عندما أقدم على ملاحقة ظبي، فكبا به الفرس ودخل قربوس[2] السرج في صدره وأصيب بالحمى، وتوفي إثر ذلك عام 595هـ/1199م[3].

وكثيره هي الأمثلة عن شغف السلاطين والأمراء الأيوبيين بالصيد، ولكن الاتيان على ذكر جميعهم لتعذر علينا ذلك لكثرتهم، فجميعهم دون استثناء كانوا شغوفين بالصيد ومحبين له[4].

ولم يقتصر حب الصيد بالجوارح والولع به على سلاطين الأيوبيين وأمرائهم، بل قلدهم في ذلك رجال بلاطهم من القضاة والوزراء والكتاب للبحث عن التسلية والترويح عن النفس، ومن ذلك

[1] : الفيوم: إحدى ولايات مصر الغربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام، بينهما مفازة لا ماء فيها، ولا مرعى وهي منخفض الأرض كالدارة.؛ الحموي: معجم البلدان، مج4، ص286.

[2] : قربوس: من قربسَ، وهو حنو السرج، وتجمع قرابيس.؛ ابن منظور (محمد بن مكرم ت: 711ه/1312م): لسان العرب، تح: عبدالله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص3570.

[3] : سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج22، ص68-69.

[4] : سيد: الرياضة والتنزه، ص2189.

أن ضياء الدين ابن الأثير[1] ت637ه/1239م وزير الملك الأفضل[2](589-592ه/1193-1196م) كان يخرج للصيد بالطيور الجارحة والفهود.

أما عن طرق الصيد لدى الأيوبيين فهي تختلف بحسب نوع الطريدة، فإذا كانوا يبتغون صيد الطيور يرمون لها الحب لتهبط عليه، ثم يأمر السلطان مماليكه فيكونون حولها حلقة وهي مشغولة بالتقاط الحب، ثم يذعرونها بقرع الطبول، ويطلق عليها السلطان الصقور والشواهين.

ولا علم لنا عن سبب تفضيل الأيوبيين لهذان النوعان من الجوارح دون غيرهم، وربما كان سبب ذلك هو كبر حجمها وقدرتها على صيد كبار الطيور، زد على ذلك أن طائر الشاهين كان عدواً للحمام ويحب اصطياده[3]، وهذا ربما ما دفعهم لإطلاقه لصيد الطيور، لكن هذا لا ينفي اقتناء أنواع الجوارح الأخرى كالباز والعقاب للصيد.

3-في العصر المملوكي:

يعد الصيد بالصقور والطيور الجارحة في هذا العصر امتداداً للصيد في العصر الأيوبي، فالمماليك هم من كانوا يرافقون السلاطين والمراء الأيوبيين في رحلاتهم، وكانوا يصطادون معهم،

[1] : ابن الأثير: أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، وزير الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي.؛ ابن خلكان (أحمد بن محمد ت: 681ه/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٥، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977م، ص389-390.

[2] : الأفضل: هو نور الدين علي بن صلاح الدين بن أيوب، أكبر أولاد صلاح الدين، ملك دمشق بعد والده، سنة 598ه، ثم تنازل عن ملكها لعمه العادل سنة 592ه؛ ابن الأثير (علي بن محمد ت: 630ه/1233م): الكامل في التاريخ، ج١٢، عناية: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمّان، د.ت، ص98،122.

[3] : القزويني: عجائب المخلوقات، ص347.

ثم دارت الدائرة ووصل هؤلاء إلى عرش السلطنة وأصبحوا سلاطين وأمراء، وجلبوا بدورهم المماليك كأسلافهم الأيوبيين، لكن هذا لم يغير شيئاً من حب هؤلاء وشغفهم بالصيد، بل على العكس كان المماليك محبين للصيد شغوفين به أكثر من سواهم، ولا تخلو سيرة أيٍ من سلاطينهم وامرائهم من خروجه للعديد من رحلات الصيد.

وقبيل الشروع في ذكر بعض الأمثلة عن رحلات الصيد في هذا العصر يجب الإشارة إلى أن هذه الرحلات حملت العديد من الأهداف غير التسلية والمرح والتنزه، منها تدريب الجند على الحروب، فالعصر المملوكي ولاسيما في الفترة الأولى منه كان عصر حروب ونزاعات كثيرة في مصر والشام، فالخطر الصليبي كان لا يزال موجوداً في ساحل الشام، إضافة إلى الخطر المغولي الذي قدم من الشرق وصنع الأهوال، فكان لزاماً على المماليك تدريب جيوشهم وإعداد مقاتليهم بشكل جيد لاسيما بعد نجاح المغول في تدمير بغداد عام 656هـ/1258م وزحفهم نحو الشام[1]، فكان الخروج في رحلات الصيد خير وسيلة لتدرب الجند كما ذكرنا سابقاً.

لكن الجديد في هذا العصر ان رحلات الصيد أخذت أبعاداً سياسية خطيرة في بعض الأحيان، ومنها محاولة قلب نظام لحكم عن طريق عن طريق مثل تلك الرحلات، ومثال ذلك قيام الظاهر بيبرس باستغلال فرصة العودة إلى مصر بعد موقعة عين جالوت 658هـ/1260م للانقضاض على السلطان المظفر قطز وقتله بعد أن انفرد عن الموكب للصيد[2]، وكان الأخير قد عمد الى

[1] : ابن كثير (إسماعيل بن عمر ت: 774ه/1372): البداية والنهاية، عناية: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، عمّان، 2004م، ص2042.

[2] : ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص102.؛ شلبي (محمود): حياة الملك المظفر قطز، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م، ص307-308.

نفس الأسلوب للتخلص من المنصور علي بن المعز أيبك[1] مستغلاً انشغال مماليك أبيه في رحلة صيد[2].

وكثيرة هي الأمثلة عن تلك المؤامرات التي حيكت في العصر المملوكي، والتي غالباً ما كانت تحدث في مثل تلك الرحلات.

وبالعودة الى رحلات الصيد في العصر المملوكي فقد أولى المماليك عناية خاصة للصيد بالجوارح وغيرها في عصرهم، فقد عمدوا الى عمل الأحواش في مختلف مناطق الديار المصرية وزودوها بشباك الصيد والصيادين[3].

ومن الأمثلة على ولع سلاطين المماليك بالصيد، والذي كان الصيد طاغياً على هواياتهم ومعروفاً عنهم كان السلطان الناصر محمد بن قلاوون[4] (ت741هـ/1341م) والذي تولى العرش

[1] : المعز أيبك: هو عزالدين أيبك التركماني الصالحي النجمي، أحد مماليك الصالح نجم الدين أيوب، بويع بالسلطنة بعد خلع شجر الدر سنة 648ه، وتلقب بالمعز، ويعد اول سلاطين المماليك.؛ ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ص288.

[2] : نصار (لطفي أحمد): وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م، ص214.

[3] : عاشور (سعيد عبد الفتاح): المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، 1992م، ص78.

[4] : الناصر محمد بن قلاوون: هو الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون، وهو تاسع ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية، بويع بالسلطنة بعد أخيه الأشرف خليل سنة 693ه وخلع في العام التالي، ثم بويع بالسلطنة مرة ثانية سنة 698ه وخلع عام 708ه، ثم عاد الى السلطنة مرة ثالثة عام 709ه وبقي فيها الى ان توفي سنة 741ه.؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1-ق1، ص378،386،401،423،431،486.

لثلاث مرات متقطعة في حياته[1]، وعرف عن هذا السلطان شدة حبه للجوارح والصيد بها، فقيل أنه لم يدع أرضاً تعرف بصيد الجوارح إلا وأقام بها صيادين في أوقات الصيد، وكان يجلب الكثير من الصقور والشواهين والبزاة والسناقر حتى كثرت في أيامه، فصار لكل أمير عنده عشرة سناقر، ومن الجدير ذكره أن السنقر لا يشتريه ولا يلعب به سوى السلطان وذوي الحظوة من الأمراء ممن أنعم عليهم السلطان[2].

وبلغ من اهتمام المماليك بصيد الطيور والكلاب على اختلاف أنواعها بأن أنشؤوا لها المطاعم وعينوا لها البازيارية والكلابزية للإشراف عليها تحت رقابتهم، وأشهر هذه المطاعم كان مطعم الطير بالقرافة[3]، وقد اعتاد سلاطين المماليك وامرائهم النزول الى هذه المطاعم ليقوم البازيارية بإطلاق الطيور ومن ثم يقومون بإطلاق الجوارح خلفها لاصطيادها، فيتسلى السلاطين والأمراء بمشاهدة ذلك.

كما جرت العادة لدى بعض السلاطين عند خروجهم للصيد أن ينعموا على أكابر المراء بالدولة بالأموال والخيول والذهب والسيوف وغيرها، كما كثيراً ما كانوا ينعمون على البازيارية حملة الجوارح، إذ كان للسلاطين والأمراء اهتمام كبير بالبيزرة حتى جعلوا وظيفة البازيار من الوظائف الكبرى التي لا يتولاها إلا كبار الرجال في دوله المماليك.

كذلك فقد كان الأمراء يرسلون في هداياهم لاسترضاء السلاطين الكثير من الجوارح وكلاب الصيد، وكذلك كان في هدايا ملوك العجم لسلاطين المماليك، فيذكر أن ملك الحبشة أرسل الى

[1] : ابن إياس: بدائع الزهور، ج1-ق1، ص378،401،431.

[2] : النويري (أحمد بن عبد الوهاب ت: 733ه/1332م): نهاية الإرب في فنون الأدب، ج١٠، تح: يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص124.؛ عبد اللطيف، عبد الجابر: رياضة الصيد والقنص، ص356.

[3] : القرافة: خطة بالفسطاط من مصر، وقرافة: بطن من المعافر نزلوها فسميت بهم.؛ الحموي: معجم البلدان، مج4، ص317.

السلطان الظاهر بيبرس هدايا بها سباع سود[1]، والأمثلة على ذلك كثيرة ولا يمكننا الوقوف عليها جميعاً.

ثالثاً: الآثار المترتبة على رحلات الصيد من العصر الفاطمي حتى نهاية العصر المملوكي.

على الرغم من أن رحلات الصيد تلك التي قام بها الخلفاء الفاطميون وسلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية كانت غالباً ما تهدف الى التنزه والاستمتاع بالوقت والبحث عن الرياضة والترفيه، لكن الأمر لم يخلُ من أن يترتب على رحلات الصيد تلك العديد من الآثار والنتائج منها انعكس إيجاباً ومنها ما انعكس بالسلب على الدولة، وهي كثيرة ومتنوعة ولا يمكن رصد مدى تأثيرها على وجه التحديد، ونجملها بما يلي:

1-الآثار الاقتصادية:

لقد تبين من خلال الحديث عن دوافع الصيد أن العامل الاقتصادي كان أهم تلك الدوافع، فالصيد وسيلة الرزق والمعاش للكثير من الناس أو بالأحرى للعامة منهم، اما بالنسبة للفئة الحاكمة من خلفاء وسلاطين وأمراء فالأمر لا يسير على هذا النحو، فالصيد بالطيور الجارحة لديهم محض تسلية وتنزه أو فرصة لتدريب جندهم على الفروسية والقنص في بعض الأحيان، أو في الفترات التي شهدت فيها الدولة حروباً ضارية.

وعلى ضوء ما مر من أشكال ومظاهر رحلات لصيد في عهد الخلافة الفاطمية والدولتين الأيوبية والمملوكية، يمكن القول أن رحلات الصيد تلك كان لها انعكاساتها السلبية على الوضع الاقتصادي العام للدولة، فالمواكب التي كان الخلفاء والسلاطين يطلقونها ضمن مراسم احتفالية مهيبة في بعض الأحيان لا شك وانها كانت تكلف بيت المال الكثير، رغم أن المصادر لم تأتي بشيء عن ذكر نفقات تلك الرحلات، ولكن ليس من الصعب على الباحث في هذا الصدد أن يتنبأ

[1] : عبد اللطيف، عبد الجابر: رياضة الصيد والقنص، ص359.

بثقل تلك التكاليف على خزينة الدولة، بينما كان حرياً بهؤلاء أي الحكام أن ينفقوا تلك المبالغ في سبيل تحسين معيشة رعيتهم التي غالباً ما كانت تعاني الفقر والقلة في ظل التقلبات السياسية الخطيرة التي طرأت على العالم الإسلامي في أواخر العصر الوسيط.

كما أن الخلفاء والسلاطين أنفقوا مبالغ ضخمة في سبيل شراء الجوارح وكلاب الصيد للصيد واللعب بها كما مر معنا، ويكفينا من الأمثلة على ذلك ما ذكرناه عن دار الطيور التي كانت تعج بأصناف الطيور والجوارح، وعن طائر السنقر الي كان قد وصل ثمنه الى خمسة آلاف دينار[1] يدفعها الحكام فقط لمجرد اللهو والتسلية.

لكن الضرر الاقتصادي الحقيقي لم يكن برحلات الصيد المكلفة وحسب، بل تطور الأمر ببعض الحكام أن يقوموا ببناء القصور على مشارف الصحراء أو في مناطق الصيد المعروفة أو التي يحبذون ارتيادها، فقد مر معنا أن الخليفة الحاكم الفاطمي قد قام ببناء قصر خاص له بدير شهران يرتاده حين خروجه للصيد[2]، وللباحث أن يتخيل ما يكلفه بناء مثل هذه القصور التي لم تكن أكثر من مكان لإقامة الحكام في رحلات الصيد والتنزه.

والحق أن هذه العادة لم تكن وليدة العصر الفاطمي أو متوقفةً عليه، بل كان بناء القصور بالقرب من أماكن الصيد معروفاً منذ عهد الدولة الأموية واستمر حتى نهاية العهد المملوكي.[3]

2-الآثار السياسية:

[1] : النويري: نهاية الإرب، ج10، ص123.؛ عبد اللطيف، عبد الجابر: رياضة الصيد والقنص، ص350.

[2] : عبد اللطيف، عبد الجابر: رياضة الصيد والقنص، ص350.

[3] : الويس (كامل طه): الترويح عن النفس في العصر الأموي، مكتبة طريق العلم، الأردن، ط1، 2016م، ص37.

على الرغم من أن رحلات الصيد كان الهدف منها البحث عن التسلية والترفيه، ولكن تمخض عن بعضها آثار سياسية عدة، منها ما يمكن عده إيجابياً، ولكنه محدوداً إذا ما قورن بالتداعيات الخطيرة التي نجمت عن مثل هذه الرحلات، فإذا كانت رحلات الصيد في عهد سلاطين عظماء أمثال صلاح الدين الأيوبي هي إحدى وسائل فرض السلطة والرقابة المركزية على إمارات الدولة الأيوبية من خلال تنقل السلطان الدائم بجيشه على مساحات شاسعة من أراضي الدولة بغرض الصيد جعلت من فكرة الاستقلال عند من يمكن أن يفكر بذلك من أمراء الأيوبيين فكرة شبه مستحيلة في ظل إمكانية تواجد السلطان وجيشه في أي وقت بالقرب من أي إمارة من إمارات الدولة، فالوضع لم يكن كذلك في أكثر الأحيان الأخرى، فالآثار السياسية السلبية لرحلات الصيد كثيرة ومتنوعة في بعض الأحيان، ويمكن إيجازها بعدة نقاط رئيسية، وهي كالتالي:

-كان لرحلات الصيد كبير الأثر في قلب النظام السياسي للدولة المملوكية بشكل خاص عدة مرات، وذلك من خلال استغلال فرصة خروج السلطان للصيد للانقلاب عليه والتخلص منه بقتله، وقد اتينا على ذكر بعض الأمثلة ولعل أشهرها حادثة اغتيال السلطان المظفر قطز في رحلة صيد من قبل الظاهر بيبرس، ومن المؤسف أن هذا المثال لم يكن مجرد حادثة فردية، بل أصبحت رحلات الصيد هي الطريقة الأبرز لاغتيال السلاطين في عهد الدولة المملوكية، فقد تكرر هذا الأمر في عهد السلطان الأشرف خليل[1] (689-693ه/1290-1294م) الذي فقد حياته هو الآخر على يد المتآمرين عليه من أمراء المماليك عند خروجه في رحلة صيد عام 693ه/1294م.[2]

ومما يؤكد على مدى تأثير هذه المؤامرات التي كانت تجري في رحلات الصيد لاغتيال السلاطين وخطورتها، أن الأخيرين باتوا يخرجون إلى الصيد خلسةً دون إعلام من معهم من الأمراء

[1] : الأشرف خليل: هو الملك الأشرف صلاح الدين بن الملك المنصور قلاوون الألفي الصالحي، وهو الثامن من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، بويع بالسلطنة سنة 689ه بعد وفاة أبيه قلاوون، توفي مقتولاً سنة 693ه.؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج1-ق1، ص365،378.

[2] : عاشور (سعيد عبد الفتاح): الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، 1996م، ص235.

بوجهتهم، فالسلطان قايتباي[1] (872–901هـ/1468–1496م) كان ينزل الى الصيد على حين غفلة ولا يعلم أحد بنزوله وسفره، وقلده في

ذلك السلطان الغوري[2] (906–922هـ/1501–1516م) الذي كان يخرج للصيد دون أن يعلن ذلك، لدرجة أن الكثير من الاشاعات خرجت على أنه يذهب للصيد في البلاد الشرقية، ولم يصح ذلك.

[1] : قايتباي: هو الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين قايتباي المحمودي الظاهري، وهو الحادي والأربعون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية والخامس عشر من ملوك الجراكسة واولادهم بمصر، بويع بالسلطنة بعد خلع لظاهر تمربغا سنة 872ه، ثم تم خلعه عن العرش سنة 901ه، وبويع ابنه بدلاً عنه.؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج3، ص3-4،333.

[2] :الغوري: هو الملك الأشرف أبو النصر بن بيبردي الغوري الأشرفي، وهو السادس والأربعون من ملوك لرتك وأولادهم بالديار المصرية، وهو العشرون من ملوك الجراكسة واولادهم في العدد، بويع بالسلطنة سنة 906ه وله من العمر ستين سنة، ولم يظهر بلحيته الشيب، توفي سنة 922ه عند مرج دابق بحلب عندما خرج لملاقاة السلطان العثماني سليم خان الأول، فهزم المماليك في المعركة وسقط الغوري عن جواده غاشياً بعدما صعب عليه هرب مماليكه فمات وقطع رأسه. ؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج4، ص2. ؛ ابن زنبل (أحمد بن علي ت: 960ه/1552م): آخرة المماليك، تح: عبد المنعم عامر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م، ص77،102-103.؛ مردم بك (تميم مأمون): الملك قانصوه الغوري الأشرف والوزير لالا مصطفى باشا ذي السيف الأحنف، مكتبة دار طلاس، دمشق، ط3، 2023م، ص17.

كما أن بعض الحكماء من خاصة السلاطين نصحوهم بإخفاء شعار الملك عند مرور السلاطين على القرى، لكيلا يتعرف أهلها عليهم فيأمنوا أنفسهم من الغدر والأذى من جهة، وليتعرفوا على أحوالهم عن قرب من جهة أخرى[1].

ومن الآثار السلبية الأخرى التي خلفتها رحلات الصيد في عهد بعض الحكام إهمال إدارة شؤون الدولة، فالتاريخ مليء بأمثال هؤلاء الذين كانوا يقضون وقتهم في اللهو والصيد بعيداً عن مراكز حكمهم التي يديرون من خلالها البلاد وينظرون في شؤون العباد، ومثال ذلك كان الخليفة الظاهر الفاطمي الذي أهمل شؤون الحكم وانغمس في ملذاته التي كان الصيد أحبها إلى قلبه[2]، ولنا أن نتخيل الحالة التي تصل اليها أي دولة عند عزوف حاكمها عن إدارة شؤونها.

ومن الأمور السلبية أيضاً أن البازيارية علا شأنهم بدايةً من العصر الفاطمي، وذلك بسبب حب الملوك لجوارح الطير، فقربوا البازيارية اليهم وأنعموا عليهم في كثير من الأحيان، إلى درجة تقليد البعض منهم مناصب عليا في الدولة، وقد ذكرنا أن الحسن بن الحسين البازيار قد ترفع في المناصب الى أن وصل إلى منصب وزير الدولة الفاطمية في عهد الخليفة العزيز بالله نزار الذي دفعه حبه للصيد إلى تقريب الأول منه وتقليده الوزارة[3]، أي أن الحسن البازيار أصبح لرجل الثاني في الدولة بعد الخليفة، ومن المعروف أن هكذا منصب يعد من المناصب الحساسة في دولة كبيرة كالدولة الفاطمية، ويحتاج صاحبه لأن يكون صاحب علم ومعرفة وخبيراً في شؤون السياسة، وليس بطرق تدريب الطيور وتعليمها على الصيد، فنحن نرى أن وصول أمثال الحسن البازيار إلى مناصب عليا في عصر الدولة الفاطمية وما تلاها في العصرين الأيوبي والمملوكي تعد من نقاط الضعف التي كان لها أثرها الفعال في ضعف هذه الدول وانهيارها فيما بعد وإن كان بشكل غير

[1] : عبد العزيز (نبيل محمد): رياضة الصيد في عصر سلاطين المماليك، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1999م، ص16-17.

[2] : العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص295.؛ سلطان: الحياة الاجتماعية، ص237.

[3] : البازيار: البيزرة، ص7-8.

مباشر، إذ كان حرياً بالخلفاء والسلاطين أن يقوموا بتقليد مثل هذه المناصب لوي الخبرة والمعرفة في شؤون السياسة وإدارة دفة الحكم بدلاً من هؤلاء البيازرة وأمثالهم.

3-الآثار العسكرية:

لقد تبين في معرض الحديث عن النتائج الاقتصادية والسياسية التي ترتبت على رحلات الصيد بأن آثارها كانت سلبية في مجملها، وأدت بشكل غير مباشر إلى إضعاف الدولة الإسلامية في العصور التي نحن بصدد الحديث عنها، لكن من ناحية الآثار العسكرية فلم يكن الأمر كذلك، إذ يمكن القول بأن آثار رحلات الصيد انعكس إيجاباً على الجيش الإسلامي ولاسيما في العصرين الأيوبي والمملوكي، فرحلات الصيد كما ذكرنا إحدى الوسائل التم يتم من خلالها تدريب الجيش على الفروسية والقنص، كما أنها تثير غريزة المقاتل إلى القتل وتجنبه خوف الحرب، فضلاً أن اختبار جاهزية الخيول قبل المعركة، إذ جاء على لسان ابن الطقطقي" فإن القنص يشتمل على فوائد كثيرة جليلة النفع منها، وهو الغرض الأشرف منه تمرين العسكر على الركض والكر والعطف، وتعويدهم الفروسية، وإدمانهم للرمي بالنشاب والضرب بالسيف والدبوس واعتياد القتل والسفك وتقليل المبالاة بإراقة الدماء، ومنها اختبار الخيول ومعرفة سبقها وصبرها على دوام الركض"[1] ولا حاجة لنا للإضافة على هذا القول لتبيان الفوائد الإيجابية لرحلات الصيد من الناحية العسكرية في ما يخص تدريب الجيش واختبار جاهزيته.

4-الأثر العلمي:

[1] : ابن الطقطقي (محمد بن علي ت: 709ه/1310م): الفخري فب الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت، ص54.

يعد الأثر العلمي من أهم النتائج المترتبة على رحلات الصيد بدءً من العصر الفاطمي، فقد دفع حب الخلفاء والسلاطين لرحلات الصيد والطيور الجارحة بشكل خلص إلى تطور علوم الحيوان بشكل عام، وعلم البيزرة بشكل خاص، والذي أخذ شكل العلم المنفصل عن البيطرة والقائم بذاته في بداية العصر الفاطمي كما ذكرنا.

ويتضح هذا التطور في مجال علم البيزرة بشكل خاص من كثرة المؤلفات التي انتِجَت ولاسيما في العصرين اللأيوبي والمملوكي، والمتعلقة بسبر عالم الطيور وكشف أسرارها الذي شكل قفزة كبيرة في تطور الطب البيطري.

والفضل الأول في هذا الصدد ينسب الى الخلفاء والسلاطين الذين كثيراً ما قربوا البيازرة وأنعموا عليهم، وشجعوهم على البحث والدراسة في عالم الجوارح، فانكب هؤلاء على تأليف كتب البيزرة إرضاءً لحكامهم في المقام الأول، وبالتالي إغناء المعرفة العلمية الإسلامية، ودليلنا على ذلك أن كتاب البيزرة الذي جاء مع بداية العصر الفاطمي كان قد وضع من قبل الوزير البازيار الحسن بن الحسين، والذي لربما كان قد وضع هذا الكتاب إرضاءً لسيده المعروف بحبه للصيد كما ذكرنا.

وعلى غرار الحسن البازيار، قام أسامة بن منقذ الشيزري بتأليف كتابه الاعتبار تقرباً من السلطان صلاح الدين الذي استضافه في دمشق

ومن هنا يبدو واضحاً أن حب الحكام لرحلات الصيد هو كان الدافع الرئيسي والمباشر الذي دفع العلماء لإيلاء هذا الاهتمام لعلم البيزرة وتكويره عبر الزمن حتى أضحى واحداً من أهم الإنجازات العلمية التي أفرزتها الحضارة العربية الإسلامية، وقد سبق لنا وأن تحدثنا عن أهم المؤلفات التي كتبها المؤرخون خلال الفترة التاريخية قيد الدراسة.

5-الآثار الفنية:

لقد تركت لنا رحلات الصيد تراثاً فنياً عظيماً تفخر به الأمة الإسلامية والتي تعد من أهم مظاهر حضارتها الراقية، فالتحف الفنية التي خلفتها آثار السابقين تعد دليلاً واضحاً على مدى اهتمامهم بالصيد ورحلاته، فقد حرص الخلفاء الفاطميون الشغوفين بالصيد على تسجيل ونقش أحداث تلك الرحلات على منتجاتهم الفنية، فتسجيل كل ما يتعلق بالحياة اليومية كان من أهم خصائص العصر الفاطمي، فتعددت المواد التي نقشت عليها تلك الرسوم من خشب وخزف وأقمشة ومعادن وغيرها تعكس مدى الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي الذي وصلت إليه الدولة الإسلامية في العصر الفاطمي، وتبقى شاهداً على مدى اهتمام الفاطميين بالفن ورقيه في عهدهم[1].

كذلك انعكس اهتمام سلاطين الأيوبيين بالصيد وولعهم به على تقدم الفنون في عصرهم، فكثيرة هي الرسوم والنقوش التي تمثل مناظر الصيد، ومنها صور الصيادون يمارسون الصيد بطرق مختلفة فمنهم من يصطاد بالصقر ومنهم من يرمي بالقوس والنشاب[2].

ومن المناظر الأخرى في هذا العصر، أحد البازيارية وقد حمل طيوره على ذراعيه ويرافقه طائر ثالث، ويظهر وقد ارتدى على يديه الواقي الخاص بحمل الطيور على اليد، وكذلك الملابس التي خصصت للبيازرة، وقد صور هذا المنظر على أرضية نباتية أرابيسك[3].

---

[1] : عبد اللطيف، عبد الجابر: رياضة الصيد والقنص، ص353.

[2] : مرزوق (محمد عبد العزيز): الفن الإسلامي في العصر الأيوبي، المكتبة الثقافية، القاهرة، ص1963م، ص73.

[3] : أرابيسك: عرف عند المؤرخين القدماء بعدة أسماء أهمها الرقش والتوشيح والتوريق والعربسة، وهو طراز زخرفي ابتدعه العرب، وزخارفها عبارة عن فروع نباتية متشابكة وأغصان متقاطعة وأزهار متدلية لا يعرف الناظر اليها أين تبدأ وأين تنتهي.؛ رزق (عاصم محمد): معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2000م، ص12-13.؛ سالم (عبد العزيز): الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، ج١، مركز النشر للكتاب، القاهرة، ط1، 1999م، ص148.

والمثلة التي تصور الصيد على تحف العصر الأيوبي كثيرة ومتنوعة وذات قيمة أثرية وتاريخية عالية لا يسعنا الوقوف عليها جميعاً.

ولا يختلف الفن المملوكي في هذا الصدد عن سابقه الأيوبي إذ تعد موضوعات الصيد من أهم الموضوعات التي رسمها المماليك على تحفهم، فقد تناولت رسوماتهم مجموعات متنوعة من السود والثعالب والغزلان والقطط والفهود والطيور وغيرها من أشكال الحيوانات المفترسة وطرائدها، كما تضمنت صوراً للقناصين والفرسان على صهوات أجودتهم[1].

وتعد هذه التحف من أهم المصادر التاريخية التي تساعد الباحثين على دراسة هذه العصور، كفهم الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في كل منها، فضلاً عن معرفة مدى تقدم الفنون في الحضارة العربية الإسلامية منذ بداية العصر الفاطمي وحتى سقوط الدولة المملوكية على يد العثمانيين بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

ونستطيع أيضاً إضافة العمائر كإحدى النتائج الفنية المتمخضة عن رحلات الصيد، فكثيراً ما أنشئ الحكام البيوت والقصور بالقرب من مناطق الصيد والتي تدل على حبهم له وولعهم به، كبناء قصر الخليفة الحاكم وبيت الطيور اللذين وسبق وأشرنا لهما في العصر الفاطمي.

ومن الممكن أن ينتج عن رحلات الصيد العديد من الآثار الأخرى والتي لا نملك أدلة نستطيع الاستناد عليها لتبيان أهميتها، أو لعلها لم تشكل أهمية تذكر ما دفع الباحثين للعزوف عن ذكرها.

ولعل أبرز تلك الآثار كانت البيئية منها، والتي يمكن أن تترتب على رحلات الصيد أيضاً، فربما اصطياد نوع محدد من الحيوانات بكثرة قد يتسبب في نقصها وندرتها في إحدى المناطق فيؤثر ذلك في إحداث خلل في النظام البيئي لتلك المنطقة.

[1] : يوسف (نبيل علي): مصر منذ ما قبل الفتح الإسلامي وحتى نهاية العصر المملوكي، ج٢،دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2010م، ص477،479،481.

وربما كان من الآثار السلبية في هذا الصدد أيضاً قيام الصيادين بالاصطياد في مواسم التزاوج التي قد تلحق أضراراً في تكاثر بعض أنواع الحيوانات ولاسيما الطيور، بالإضافة إلى قيام بعض التجار باصطياد بعض أنواع الطيور أو الحيوانات بشكل عام لنقلها بعيداً عن مواطنها الأصلية لبيعها بأثمان عالية في مناطق أخرى كطائر السنقر الذي سبق وتحدثنا عنه، ما قد يسبب خلل في التوازن البيئي في موطنه الأصلي.

نتائج البحث.

في ختام هذا البحث سيتم تلخيص أهم النتائج التي تم التوصل إليها وفق ما يلي:

تعد نشأة علم البيزرة خلال العصر الفاطمي إحدى أبرز المؤشرات التي تدل على التقدم العلمي والمعرفي التي شهدته الحضارة الإسلامية خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، والذي لا يعد فجائياً، إنما جاء كنتيجة طبيعية لتطور المعرفة التراكمية خلال العصور الإسلامية التي سبقت العصر الفاطمي وتوجت خلاله بنشأة علم البيزرة كعلم جديد قائم بذاته، ومن ثم تابع التطور بشكل تدريجي في العصور التي تلته.

لم يكن تطور العلوم في الحضارة الإسلامية يتم بشكل عشوائي، فعلم البيزرة كان من التي العلوم التي وقفت وراء نشأته وتطوره مجموعة من العوامل السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والترفيهية، اختلفت أولويتها حسب كل عصر، إذا كان الدافع الترفيهي هو الأبرز خلال العصر الفاطمي، بينما تطور في العصر الأيوبي كنتيجة وحاجة ملحة لتطوير التقنيات العسكرية التي تخدم حالة الحرب الدائمة التي عاشتها هذه الدولة، في حين تبوأ الدافع السياسي دوافع المماليك في تطوير هذا العلم والاهتمام به.

لم يكن تطور علم البيزرة ليمر دون ترك آثار حضارية تركت بصمتها في التاريخ الإسلامي بشكل عام، وقد تنوعت هذه الآثار بين السياسية والعسكرية والعلمية والفنية الذي لا يزال بعضها شاهداً على عظمة الحضارة الإسلامية إلى يومنا الحاضر رغم سلبيات بعضها.

قائمة المصادر والمراجع

-المصادر.

1. ابن الأثير (علي بن محمد ت: 630ه/1233م): الكامل في التاريخ، عناية: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمّان، د.ت.
2. الاصطخري (إبراهيم بن محمد ت: 346ه/958م): المسالك والممالك، مراجعة: محمد شفيق غربال، دار الذخائر، القاهرة، 2003م.
3. ابن الأكفاني (محمد بن ابراهيم ت: 749 ه/1349م): ارشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، تح: عبد المنعم عمر، دار الفكر. العربي، القاهرة، د.ت.
4. ابن إياس (محمد بن أحمد ت: 930ه/1523م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطابع الشعب، د.م، د.ت.
5. اينهارد (ت: 840م): سيرة شارلمان، تر: عادل زيتون، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1989م.
6. البازيار (الحسن بن الحسين ت: 368ه/997م): البيزرة، علق عليه: محمد كرد علي، المجمع العلمي العربي، دمشق، 1953م.
7. البكري (عبدالله بن عبدالعزيز ت: 487ه/1095م): المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.
8. : البنداري (الفتح بن علي ت: 643ه/1245م): سنا البرق الشامي، تح: فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م.
9. ؛ التوحيدي (علي بن محمد ت: 414ه/1024م): البصائر والذخائر، تح: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط١، 1988م.
10. الجاحظ (عمر بن بحر ت: 255ه/869م): الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1967م.

11. الجواليقي (موهوب بن أحمد ت: 540هـ/1146م): المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تح: عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، ط1، 1990م.
12. الحموي (ياقوت بن عبدالله ت: 626هـ/1229م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م.
13. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت: 808هـ/1406م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، عناية: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمّان، د.ت.
14. ابن خلكان (أحمد بن محمد ت: 681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977م.
15. ابن زنبل (أحمد بن علي ت: 960هـ/1552م): آخرة المماليك، تح: عبد المنعم عامر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م.
16. سبط ابن الجوزي (يوسف بن قزأوغلي ت: 654هـ/1256م): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح: إبراهيم الزيبق، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط1، ٢٠١٣.
17. الشابشتي (علي بن محمد ت: 388هـ/998م): الديارات، تح: كوركيس عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ط3، 1986م.
18. أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل ت: 665هـ/1266م): الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، علق عليه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
19. الشيزري (أسامة بن منقذ ت: ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م): الاعتبار، علق عليه، عبد الكريم الأشتر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣.
20. طاش كبري زاده (أحمد بن مصطفى ت: 968هـ/1561م): مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985.
21. ابن الطقطقي (محمد بن علي ت: 709هـ/1310م): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت.
22. ابن العماد (عبد الحي ت: ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩.

23. القزويني (زكريا بن محمد ت:682 ه/1284م): عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ط1، 2000م.
24. ابن الكازورني (علي بن محمد ت: 697ه/1297م): مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تح: مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، بغداد، 1970م.
25. ابن كثير (إسماعيل بن عمر ت: 774ه/1372): البداية والنهاية، عناية: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، عمّان، 2004م.
26. المقدسي (محمد بن طاهر ت:٥٠٧ه/ ١١١٣م): معرفة الألقاب، تح: أبو زيد، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ط١، ٢٠٠١.
27. المقريزي (أحمد بن علي ت: 845ه/1422م): اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح: محمد أحمد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1996م.
28. ابن منظور (محمد بن مكرم ت: 711ه/1312م): لسان العرب، تح: عبدالله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
29. الناشري (حمزة بن عبدالله ت: ٩٢٦ه/ ١٥٢٠م): تح: عبدالله محمد الحبشيي، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، د.م، ١٩٨٥.
30. النويري (أحمد بن عبد الوهاب ت: 733ه/1332م): نهاية الإرب في فنون الأدب، تح: يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
31. ابن واصل (محمد بن سالم ت: 697ه/1298م): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح: جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1952م.

المراجع.

1. أدي شير (السيد): الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب، القاهرة، ط2، 1988م.
2. الأهل (عبد العزيز سيد): أيام صلاح الدين، المجلس العلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ك 10، 1964م.

3. أيوب (إبراهيم): التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط1، 1989م.
4. الباشا (عبد الرحمن رأفت): الصيد عند العرب، دار النفائس، بيروت، ط2، 1978م.
5. بينز (نورمان): الإمبراطورية البيزنطية، تعريب: حسين مؤنس–محمود زايد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1950م.
6. تامر (عارف): الحاكم بأمر الله. خليفة وإمام ومُصلح، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1982م.
7. التميمي (فارس): الوافي في صقور الصيد CANADA GULFOSAKER،،ط١، ٢٠٠٤.
8. حتي (فيليب) وآخرون: تاريخ العرب، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، لبنان، 1950م، ج2.
9. داغر (أسعد): حضارة العرب: تاريخهم–علومهم–آدابهم–اخلاقهم–عاداتهم، مطبعة هندية، مصر، 1918م.
10. رزق (عاصم محمد): معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2000م.
11. سالم (عبد العزيز): الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، مركز النشر للكتاب، القاهرة، ط1، 1999م، ج1.
12. سلطان (عبد المنعم): الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2009م.
13. شلبي (محمود): حياة الملك المظفر قطز، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م.
14. الصيني (بدرالدين حي): العلاقات بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1950م.
15. القنوجي (صديق بن حسن ت: 1889م): أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2.

16. عاشور (سعيد عبد الفتاح): الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، 1996م.
17. عاشور (سعيد عبد الفتاح): المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، 1992م.
18. العبادي (مختار أحمد): في التاريخ العباسي والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
19. العبادي (مختار أحمد): في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
20. عبد العزيز (نبيل محمد): رياضة الصيد في عصر سلاطين المماليك، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1999م.
21. عبد اللطيف (أحمد): العلاقات الدبلوماسية للخلافة العباسية من عام 132–232هـ، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2004م.
22. العدوي (إبراهيم أحمد): الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، مكتبة نهضة مصر، مصر، 1951م.
23. علي (جواد): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، بيروت،٢٠٠١.
24. عليان (ربحي مصطفى): المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1999م.
25. غالب (مصطفى): ابقراط، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1986م.
26. مردم بك (تميم مأمون): الملك قانصوه الغوري الأشرف والوزير لالا مصطفى باشا ذي السيف الأحنف، مكتبة دار طلاس، دمشق، ط3، 2023م.
27. : مرزوق (محمد عبد العزيز): الفن الإسلامي في العصر الأيوبي، المكتبة الثقافية، القاهرة، 1963م.
28. المليطي (طاليس): تاريخ الفلاسفة، تر: السيد عبدالله حسين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2007م.

29. نصار (لطفي أحمد): وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م.

30. الويس (كامل طه): الترويح عن النفس في العصر الأموي، مكتبة طريق العلم، الأردن، ط1، 2016م.

31. يوسف (نبيل علي): مصر منذ ما قبل الفتح الإسلامي وحتى نهاية العصر المملوكي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2010م.

الرسائل الأكاديمية.

1. عبيد (رشا السر): النهضة الحضارية في العصر العباسي الأول (132-232هـ/750-847م)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزيرة، السودان، 2017م.

الدوريات.

2. زيدان(يوسف): علم البيزرة، مجلة الفيصل، العدد203، الرياض، 1993م.
3. عبد اللطيف (ميرفت)، عبد الجابر (أحمد): رياضة الصيد والقنص في مصر الإسلامية من العصر الفاطمي وحتى نهاية العصر المملوكي (358-923هـ/969-1517م)، المجلة الدولية للتراث والسياحة والضيافة، مج14، عدد2، الفيوم، 2020م.
4. سيد (عبد الهادي محمد): الرياضة والتنزه في العصر الأيوبي بمصر والشام 567-648هـ/1171-1250م، مجلة الأزهر العلمية، مج3، عدد 40، أسيوط، 2021م.

علي رضا لركابي ودوره السياسي والعسكري في المشرق العربي (1864–1942م)

أ.د.م رامي الضلي
جامعة دمشق

أ.د.م إبراهيم علاء الدين
جامعة اللاذقية

الملخص:

شكلت فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى 1914–1918م، من أهم الفترات في التاريخ السوري المعاصر، حيث قادت إلى بناء أسس الدولة الحديثة، وذلك منذ اندلاع الثورة العربية الكبرة عام 1916، وما تبعها من تأسيس دولة عربية، برزت خلالها عدد من الشخصيات الوطنية، والتي أثرت في الحياة السياسية للبلاد، وعملت على قيادة البلاد نحو الاستقلال، وأحدثت تحولات جذرية سياسية واقتصادية واجتماعية واسعة في المجتمع، في المرحلة التي تلت الاستقلال، ومن أبرز تلك الشخصيات، شخصية علي رضا الركابي، العسكري والسياسي العربي والسوري، والتي تجلت أهميتها في خوضه الكثير من التحديات السياسية، وتبنيه للعديد من القرارات المصيرية المهمة، التي أثرت في الدولة الناشئة والبلاد والعباد على حد سواء.

الكلمات المفتاحية: الحرب العالمية الأولى، الثورة العربية الكبرى، علي رضا الركابي.

Summary: The period after the First World War, 1914-1918 AD, constituted one of the most important periods in contemporary Syrian history, as it led to building the foundations of the modern state, since the outbreak of the Great Arab Revolt in 1916, and the subsequent establishment of an Arab state, during which a number of figures emerged. Nationalism: A group of national figures emerged who influenced the political life of the country, worked to lead the country towards independence, and brought about radical political, economic and social transformations in society in the period that followed independence. Among the most prominent of these figures is the personality of Ali Reda al-Rikabi, the Arab military and politician. And the Syrian, whose importance was evident in his confrontation with many political challenges, and his adoption of many important fateful decisions, which affected the emerging state, the country, and the people alike.

Keywords: World War I, the Great Arab Revolt, Ali Reda Al-Rikabi.

أولاً: مقدمـــة: انتهـى الحكـم العثمـاني فـي دمشـق فـي 30 أيلـول 1918م، ودخـل الأمير فيصـل دمشـق، وأسـس دولـة عربيـة واحـدة، لـم تكـن تلـك الدولـة قـد اسـتكملت وعيهـا السياسـي، فكـان لا بـد للعـرب مـن مواجهـة عقبـات تعتـرض سـير تكـوين الدولـة الناشـئة، وذلـك مـن خـلال وجـود العديـد مـن الرجـال الـوطنيين المخلصـين لقضـية العروبـة، الـذين عملـوا علـى بنـاء الدولـة العربيـة الفتيـة، وكـان فـي مقدمـة أولئـك الرجـال علـي رضـا الركـابي، الـذي تفهـم حاجـة الشـعب العربـي والـبلاد، إلـى رجـال أشـداء يعيـدون هيبـة الحكـم، ويرفعـون مـن شـأن الإدارة، ويصـونون الكرامـة ويشـجعون علـى التضـحية فـي سـبيل الدولـة والـوطن، ومـن هنـا كـان السـعي لدراسـة شخصـية علـي رضـا الركـابي، ودوره السياسـي والعسـكري فـي الدولة العربية الناشئة.

أهميـة البحـث: تـأتي أهميـة البحـث فـي محاولتـه تسـليط الضـوء علـى فتـرة مفصـلية مـن تـاريخ سـورية الكبـرى أو بـلاد الشـام الحـديث، وتركيـزه بشـكل خـاص علـى جزئيـة معينـة تمثلت بشخصية علي رضا باشا الركابي وتأتي أهمية هذه الجزئية من نقطتين:

الأولـى: كـون علـي رضـا باشـا الركـابي مـن رجـال الثـورة الأوائـل، والبـارزين فـي نهضـة العـرب الحديثـة، والـذين سـاندوا الشـريف الحسـين بـن علـي عنـد قيـام الثـورة العربيـة الكبـرى عام 1915م .

الثانيـة: تأسـيس رضـا الركـابي أول حكومـة دسـتورية عربيـة فـي دمشـق والعـالم العربـي، وبعـد جـلاء العثمـانيين عـن سـورية وخـلال فتـرة الحكـم الهاشـمي والاسـتقلال الفيصـلي فيهـا، إضـافة إلـى اسـتلامه العديـد مـن المناصـب المهمـة، عنـد تأسـيس الإمـارة الأردنية تحت حكم الأمير عبد الله بن الحسين.

إشـكالية البحـث: تتمثـل إشـكالية البحـث فـي دراسـة الفتـرة الانتقاليـة التـي عاشـها العـرب بـين التحـرر مـن الاحـتلال العثمـاني والوقـوع تحـت نيـر الاسـتعمار الأوربـي

الإنكليزي والفرنسي، والتي كان من أهم معالمها، ظهور رجال وطنيين حاولوا قدر الإمكان الوصول بأمتهم وشعبهم إلى مكانة رفيعة بين دول وحكومات القرن العشرين، ومن أبرز أولئك الرجال كان علي رضا الركابي، ولذلك لا بد من طرح بعض الأسئلة ومحاولة الإجابة عنها، ومنها:

- ما هي المؤهلات الموجودة في شخصية الركابي لتشكيل أول حكومة دستورية عربية في دمشق؟
- ما هي العقبات التي اعترضته وكيف تعامل معها؟
- ما هي دوافع الهاشميين لتكليفه بتشكيل حكومات في دمشق أولاً وشرق الأردن لاحقاً؟
- ما هو الدور الذي لعبه في تشكيل العقل السياسي العربي في العصر الحديث وتطوره؟

منهجية البحث

اعتمدت هذه الدراسة على عدة مناهج بحثية، منها: المنهج الوصفي في متابعة الظواهر وجمع الحقائق والمعلومات والملاحظات. والمنهج التاريخي في إطار تحليلي، بهدف الوقوف على الأحداث ومعرفة ملابساتها، ثم اللجوء إلى تحليلها.

ثانياً: سيرته الذاتية:

1- الأصل والنشأة والصفات: ينتمي علي الركابي إلى آل الركابي، وهي من الأسر الدمشقية المعروفة، يرجع جذورهم إلى عشيرة بني ركاب المتواجدة في الكويت، هاجر أجدادهم إلى نابلس والقدس، ومنها إلى دمشق، وأهم من اشتهر منهم في بدايات القرن العشرين علي رضا الركابي بن محمود بن أحمد بن سليمان، الذي ولد في عام

1866م [1]، تلقى تعليمه في المدرسة الرشيدية العسكرية، ثم انتقل إلى المدرسة الإعدادية في دمشق. وبعد أن أنهى دراسته فيهما، سافر إلى الآستانة لإتمام دراسته في المدرسة الحربية، فأنهى دراسته وتخرج منها برتبة رئيس أركان حرب بدرجة ممتازة، ثم تدرج في المناصب العسكرية، حتى بلغ رتبة زعيم أركان حرب، عيّن قائداً للجيش العثماني المرابط في القدس، ووكيلاً لمتصرفها. ولما أُعلن الدستور العثماني، عُين رئيسا للشعبة المخصوصة في الآستانة، ثم انتقل منها إلى المدينة المنورة، فعُين محافظاً لها وقائداً لجيشها، وبعد أن رُقي إلى رتبة أمير لواء نُقل إلى العراق حيث تولى قيادة الجيش في بغداد والبصرة[2].

وقد اتصف الركابي بالعديد من المزايا، ومنها: النزاهة والكفاءة والشجاعة وقوة الشخصية واتساع الخبرة، تلك الصفات التي أهلته لتولي أعلى المناصب في العهد التركي، ومن ثم عهد الثورة العربية، وفي عهد الحكم الهاشمي بقيادة الملك فيصل في سوريا، والأمير عبد الله عند تأسيس الإمارة الأردنية[3]، أما بالنسبة لصفاته الجسدية فقد كان الركابي قصير القامة، ممتلئ الجسم، براق العينين، وكان هذا البريق ينبعث عن حيوية هائلة كاملة لا تجد منفذاً إلا في الحركة والعمل[4].

1- الصواف، محمد شريف عدنان: موسوعة الأسر الدمشقية (تاريخها، أنسابها، أعلامها)، ط2، بيت الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2010م، ج2، ص161-163.

2- الكيلاني، إبراهيم: عبقريات شامية في الحكم والسياسة والإدارة (أسعد باشا العظم، أحمد عزت باشا العابد، علي رضا باشا الركابي)، ط1، مكتب النشر العربي، دمشق، 1946م، ص41.

3- موسى، سليمان والماضي، منيب: تاريخ الأردن في القرن العشرين 1900-1959، مكتبة المحتسب، عمّان، 1988م، ص258.

4- الكيلاني: عبقريات شامية في الحكم والسياسة والإدارة، ص43.

2- الانتمـــاء السياســـي: عنـد إعـلان الحـرب العالميـة الأولـى عـام 1914م، استشـارت الدولـة العثمانيـة قوادهـا فـي أمـر الـدخول فـي الحـرب إلـى جانـب حليفتهـا ألمانيـا، فكـان رأي الركـابي باشـا البقـاء علـى الحيـاد؛ بسـبب ضـعف الدولـة وعـدم اسـتعدادها للحـرب، إلا أن هـذا الـرأي لـم يعجـب قـادة الاتحـاد والترقـي، وهـم مـن أنصـار الحـرب، فأحيـل إلـى التقاعـد، ولمـا عـاد إلـى دمشـق، أراد جمـال باشـا أن يكـون الركـابي علـى مقربـة منـه، للاسـتفادة مـن خبرتـه مـن جهـة، ولتسـهل عليـه مراقبتـه مـن جهـة أخـرى، فأسـند إليـه رئاسـة بلديـة دمشـق، ورئاسـة التحكيمـات، فقبـل بهـذه المنصـبين دفعـاً للشـبهات عـن انتمائـه القـومي والعروبـي[1]، إذ كـان الركـابي مـن مؤسسـي الجمعيـة العربيـة الفتـاة[2] وجمعيـة العهد[3]، وهما جمعيتان نادتا بالقومية العربية في زمن العثمانيين[1].

1- الكيلاني: عبقريات شامية في الحكم والسياسة والإدارة، ص41.

2- الجمعية العربية الفتاة: تأسست في باريس عام 1911م على يد أحمد قدري وعوني عبد الهادي ورستم حيدر وغيرهم. وكان من أهم أهدافها السعي لاستقلال البلاد العربية، وتحريرها من السيطرة العثمانية، أو أية سيطرة أجنبية، في عام 1913م نُقل مركزها إلى بيروت ثم إلى دمشق في عام 1914م. ابن بلواعر، زوينة وبلمرابط، سمية: سوريا في العهد الفيصلي 1918-1920م، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2016-2017م، ص18.

3- جمعية العهد: اشتقت عن الجمعية القحطانية عام1913م، وهي ذات طابع عسكري مقرها إستانبول، تأسست على يد عزيز علي المصري وانضم إليه سليم الجزائري ونوري السعيد وغيرهم. كان هدف هذه الجمعية الحصول على إدارة عربية ولغة رسمية. فيما بعد انتقل مقرها إلى دمشق وأدت الظروف القائمة آنذاك إلى تغيير سياستها نحو الاتجاه الإقليمي. ابن بلواعر وبلمرابط: سوريا في العهد الفيصلي، ص18-19.

إذاً فقد كان علي رضا الركابي من المنتسبين إلى الجمعية العربية الفتاة، بعد انتقالها للعمل في دمشق، وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1914م، وكان من أهم أعمالها: أن توعز إلى أعضائها بالاتصال بالجمعيات الأخرى، والدخول فيها ليكون أعضاء الجمعية على معرفة بكل حركة تحدث، وكانت الجمعية تدقق بشكل كبير في اختيار أعضائها، حتى يبقى أمرها سرياً، لكي لا تصل أخبارها إلى الحكومة، ومما يدل على حسن تنظيمها أن الأتراك لم يعلموا بأمرها حتى نهاية الحرب، وقد حافظ أعضاؤها على السر فلم يبوحوا به، ولم يشِ أحد منهم برفيق له على الرغم من المحاكمات العسكرية، والإرهاب، والتعذيب، وأحكام الإعدام، التي نفذت، وقد ساهمت الجمعية العربية الفتاة في كثير من الحركات القومية، والأعمال التي استهدفت نهضة الأمة العربية، وقام أعضاؤها من أجل تحقيق هذه الغايات بالاتصال بالوطنيين في البلاد العربية والعواصم الأوربية، وكانوا بحق من رواد الفكر العربي الأوائل[2].

ثانياً: دوره العسكري والسياسي في سورية خلال الحكم الفيصلي:

1- الأعمال العسكرية للركابي في سورية: أرسلت القيادة العثمانية الزعيم الركابي قبيل سقوط دمشق ببضعة أيام، ليجمع القوات العثمانية المهزومة في القنيطرة، وأعطته مبلغ كبير من المال، فادعى أن العربان سلبوه ماله وثيابه، وانضم إلى الجيش البريطاني، فعهد له البريطانيون بتولي الحكم العسكري للمدن الداخلية السورية خلال

[1]- الكيلاني: عبقريات شامية في الحكم والسياسة والإدارة، ص41.

[2]- حيدر، رستم: مذكرات رستم حيدر، تحقيق: نجدة فتحي صفوة، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت-لبنان، 1988م، ص16-17.

الحرب العالمية الأولى، وذلك نظراً لحسن بلائه في خدمتهم، وهكذا ذهب من دمشق قائداً عثمانياً وعاد إليها بعد أيام حاكماً عربياً بريطانياً[1].

قام الإنكليز بخرق الجبهات العثمانية في فلسطين وبدأوا بمطاردة الجيش العثماني في تشرين الأول 1918م[2]، مما أجبر القوات العثمانية على مغادرة دمشق، وقام جمال باشا بتسليم الحكم إلى زعماء دمشق، وغادر دمشق إلى رياق اللبنانية، وكان آخر قائد عثماني خرج من دمشق بعد أن ملكها العثمانيون أربعمائة وأربع عشرة سنة[3]، أعلن الأمير سعيد الجزائري استقلال البلاد، باسم الشريف الحسين، ورفع العلم العربي على سارية دار الحكومة، وكان ذلك قبل دخول الجيش العربي إلى دمشق بيومين[4].

وعندما دخلت القوات البريطانية إلى دمشق عام 1918م، أصدر الجنرال اللنبي قراراً بتقسيم سورية إلى ثلاث مناطق شرقية وغربية وجنوبية، وعيّن الفريق علي رضا الركابي حاكماً عسكرياً للمنطقة الشرقية، فجاء دمشق في مطلع تشرين الأول 1918م وتسلم الحكم فوراً وانتهى بذلك عهد الحكومة المؤقتة[5].

---

[1]- علي، محمد كرد: خطط الشام، ط3، مكتبة النوري، دمشق، 1983م، ج3، ص154.

[2]- العمري، صبحي: ميسلون نهاية عهد، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، لندن-قبرص، 1991م، ص15.

[3]- علي: خطط الشام، ص153-154.

[4]- العمري، صبحي: ميسلون، ص15.

[5]- الحكيم، يوسف: سورية والعهد الفيصلي، ط2، دار النهار للنشر، بيروت، 1986م، ص22.

وعند دخول فيصل إلى دمشق في 5 تشرين الأول 1918م، أعلن عن قيام حكومة سورية عربية مستقلة باسم الملك الحسين بن علي تشمل سورية الكبرى[1]، وأعلن عن تشكيل إدارة عسكرية، وعيّن عليها علي رضا الركابي كرئيس للحكومة، وأكد في العديد من تصريحاته، على أن وصول الحكومة العربية، سيتضمن مناطق لم تتحرر من العبودية مشيراً بذلك إلى الأراضي العربية التي ما زالت تحت الحكم العثماني[2]، ومن ثم أصدر الأمير فيصل بياناً، ومن أهم مواده:

- تشكيل حكومة دستورية عربية، مستقلة استقلالاً مطلقاً في سورية، باسم الشريف الحسين، على ان تشمل كامل البلاد السورية.
- يتولى السيد علي رضا باشا الركابي القيادة العامة للحكومة المذكورة.
- تتألف إدارة عرفية لرؤية المواد التي يحيلها القائد العام[3].

سارع الفريق الركابي إلى تشكيل حكومته بناءً على بيان الأمير فيصل، من الأجزاء المحررة (الحجاز، لبنان، فلسطين، سورية، العراق)، حتى تكون حكومة عربية

1- وسيلة، زويجة: تطور الحركة الوطنية السورية في ظل الانتداب الفرنسي (1919-1947م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة العقيد أحمد دراية-أدرار، الجزائر، 2022/2021م، ص70.

2- علاوي، علي عبد الأمير: فيصل الأول ملك العراق، ترجمة: سيمون أكرم العباس و غيث يوسف محفوظ، مراجعة: مقدام عبد الحسن الفياض، ط1، مركز الرافدين للحوار، بيروت/النجف الأشرف، 2022م، ص246.

3- سلطان، علي: تاريخ سورية 1918-1920 حكم فيصل بن الحسين، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1987م، ص41.

ولـيس سـورية فقـط، ولـو بشـكل نظـري[1]، وذلـك رداً علـى تقسـيم الـبلاد العربيـة إلـى منـاطق نفـوذ للاسـتعمار الأوربـي (الفرنسـي– البريطـاني)، كـون قـادة الثـورة العربيـة الكبـرى، وعلـى رأسـهم الأميـر فيصـل والفريـق علـي الركـابي وغيـرهم مـن زعمـاء القوميـة العربيـة، غيـر راضـين عـن تقسـيم، فعمـدوا إلـى مقاومتـه باتبـاع سياسـة الأمـر الواقـع بجميـع الطـرق السـلمية، الأمـر الـذي دفـع بـالفريق الركـابي، إلـى تعيـين رجـالاً مـن سـورية ولبنـان وفلسـطين والعـراق والأردن والحجـاز فـي حكومتـه، دون أي التفـات إلـى سـجلات نفوسـهم المتضـمنة انتسـاب كـل مـنهم إلـى الولايـة التـي ولـد أو نشـأ فيهـا تبعـاً لأبويـه وأسـرته وعشـيرته[2]، وبـذلك فقـد تألفـت حكومـة الفريـق الركـابي، مـن: عـادل أرسـلان (جبـل لبنـان) معاونـاً للحـاكم العسـكري، سـعيد شـقير (بيـروت) مـديراً للماليـة، إسـكندر عمـون (جبـل لبنـان) مـديراً للعدليـة، رشـيد طليـع (جبـل لبنـان) مـديراً للداخليـة، سـليم موصـلي (دمشـق) مـديراً للصـحة، سـاطع الحصري (حلب) مديراً للمعارف، ياسين الهاشمي (العراق) رئيساً لميرة الجيش[3].

كمـا أبلـغ الفريـق الركـابي رؤسـاء الـدوائر الحكوميـة بـأن لا تحـول الأفـراح بعهـد الاسـتقلال، دون النظـر فـي مراجعـات أربـاب المصـالح تأمينـاً للعدالـة، فسـاد بـذلك النظـام والاطمئنـان، وكـان أول عمـل قـام بـه الفريـق الركـابي كـرئيس للحكومـة العربيـة، أنـه أرسـل اللـواء شـكري الأيـوبي منـدوباً عنـه إلـى بيـروت، مركـز المنطقـة الغربيـة، وذلـك لإعـلان الحكومـة العربيـة فيهـا بنـاء علـى طلـب أهلهـا، فوصـل إلـى بيـروت فـي 6 تشـرين الثـاني 1918م، حيـث رفـع العلـم العربـي علـى سـرايا بيـروت، ثـم علـى سـرايا بعبـدا مركـز حكومـة جبـل لبنـان[4]، وتـم إعـلان انضـمام لبنـان إلـى الحكومـة العربيـة وعُـين حبيـب باشـا السـعد

[1]– سلطان: تاريخ سورية 1918–1920، ص40.

[2]– الحكيم، يوسف: سورية والعهد الفيصلي، ط2، دار النهار للنشر، بيروت، 1986م، ص22.

[3]– سلطان: تاريخ سورية 1918–1920، ص40.

[4]– الحكيم: سورية والعهد الفيصلي، ص22.

حاكماً مدنياً، كما أعلن ذلك في المدن الأخرى. ففي صيدا ألف الأهلون إدارة عربية مؤقتة ورفعوا العلم العربي، ثم وصل مندوب الحكومة العربية قادماً من دمشق، وحدث الأمر ذاته في اللاذقية وفي طرابلس وصور وبقية المدن الساحلية.

ولكن السلطات الفرنسية المتمسكة ببنود معاهدة "سايكس–بيكو"[1] الموقعة مع بريطانيا، احتجت على الإجراءات، وأيدت بريطانيا موقف حليفتها، فأصدر الجنرال اللنبي أمراً بتعيين الكولونيل بياباب الفرنسي حاكماً عسكرياً للمنطقة الغربية، وطلب إلى الأيوبي أن يُنزل العلم العربي وينسحب، فلما رفض الأيوبي ذلك، أمر اللنبي بإنزال الأعلام العربية في بيروت والمدن الساحلية الأخرى عنوة، وأرسل فيصل برقية احتجاج طويلة إلى اللنبي، وعاد شكري الأيوبي إلى دمشق[2].

2– إنجازات حكومة علي رضا الركابي الأولى في سورية:

---

[1]– سايكس–بيكو: اتفاقية بين فرنسا وبريطانيا في أيار/مايو 1916م، وبموجبها احتفظت فرنسا بمساحة كبيرة من أراضي الأناضول الجنوبية، والجزء الشمالي من سورية، ولواء الموصل. أما بريطانية فقد احتفظت بأراضي العراق، والجزء الجنوبي من سورية الطبيعية. ونصت الاتفاقية على إنشاء حكم مباشر لفرنسا في الساحل السوري (المنطقة الزرقاء)، ولبريطانيا في ولايتي البصرة وبغداد (المنطقة الحمراء)، أما فلسطين (المنطقة السمراء) فتخضع لحكم دولي خاص، وفي القسم الشمالي من سورية الداخلية وولاية الموصل يُصار إلى الاعتراف بدولة عربية مستقلة يكون لفرنسا الحق في تقديم المساعدات لها، كما تنشأ دولة عربية مستقلة في منطقة النفوذ البريطاني الداخلية، ويكون لبريطانيا حق تقديم المساعدة لها. مكاوي، نجلاء سعيد: مشروع سورية الكبرى "دراسة في أحد مشروعات الوحدة العربية في النصف الأول من القرن العشرين"، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010م، ص37.

[2]– حيدر: مذكرات رستم حيدر، ص24–25.

حدد الفريق الركابي برنامج وزارته، التي ألفها وفق النقاط التالية:

1- اتباع الصدق والإخلاص في القول والعمل، والعزم والحزم في الأمور.

2- توزيع العدل بين أفراد الشعب، والمراعاة التامة للقواعد الاقتصادية والكفاءات في الوظائف والموظفين والنفقات.

3- قمع بذور الفساد وكل ما يسيء للسمعة بكل شدة.

4- عدم التحزب والتحيز والتعاضد والتكاتف في جميع أمور الإصلاح، وصيانة المنطقة من الأحوال المخلة بالأمن[1].

ومن ثم بدأ الفريق الركابي تطبيق برنامجه الوزاري في القضايا الداخلية، على عدد من الصعد أهمها:

الصعيد الأمني: سعى الركابي لتوطيد الأمن في جميع أنحاء سورية، وساعده في ذلك الجنرال اللنبي، الذي بعث إليه الكولونيل غبرييل حداد، أحد قادة الجيش البريطاني في مصر، مديراً للأمن العام في سورية، فمنحه الركابي كامل ثقته، وعيّن إلى جانبه معاونين أكفاء فشمل الأمن والهدوء جميع أنحاء سورية، كما أسس الركابي شعبة سياسية تمده بالمخابرات التي يتبادلها الممثلون الأجانب في سورية، واختار لإدارتها توفيق شامية وحليم حرفوش.

وعلى الصعيد الإداري: اختار الركابي لإدارة البلاد أمناء أكفاء فعين على رأس الدواوين خريجي المعاهد العالية أمثال الأمراء الشهابيين، واختار لولاية دمشق علاء الدين الدروبي، ولمديرية رسائله السيد شكري القوتلي، وأصدر في 12 كانون الثاني 1919م نظاماً لبلدية العاصمة، حدد فيه عدد أعضائها المنتخبين باثني عشر عضواً، اثنان منهم مسيحيان، أرثوذكسي وكاثوليكي، وواحد موسوي، وأصدر قراراً آخر يتضمن حق الطائفة الإنجيلية بالاشتراك في جمعية التفريق حين انتخاب أعضاء المجالس

[1]- الكيلاني: عبقريات شامية في الحكم والسياسة والإدارة، ص42-43.

الإدارية، أسوة بغيرها من الطوائف، وقرر تأجيل ميعاد استحقاق الديون المترتبة على الأرمن تقديراً للنكبة التي أصابتهم أيام الحرب[1].

وعلى صعيد التعليم: اهتمت حكومة الركابي اهتماما بالغاً بالتعليم، وأنشأت الشعبة الأولى للترجمة في 28 تشرين الثاني 1918م تحت تسيير ديوان المعارف برئاسة محمد كرد علي، وأوكلت إلى هذا الديوان مهمة تنظيم المدارس وإحداثها، وتعيين المعلمين، وتصحيح الكتب المعدة للطبع، والاهتمام بشأن اللغة العربية في التعليم، ومن بين هذه المدارس مدرسة دار العلم والتربية التي تبرع الأمير فيصل لإنشائها ورفض أن تُسمى باسمه[2]، كما زار وفد طلابي من معهدي الطب والحقوق الفريق الركابي، وقد طالبه هذا الوفد بإعادة فتح المعهدين بعد إغلاق دام أسابيع عديدة، لكي يتابع الطلاب دراستهم الجامعية، وكان ثمانية منهم على أبواب التخرج عند دخول الحلفاء والجيوش العربية إلى دمشق، فأمر الأمير فيصل، بناءً على هذا الاجتماع، بإعادة فتح مدرسة الطب في 23كانون الثاني 1919م، ومعهد الحقوق في 25 أيلول 1919م. كما شكلت حكومة الركابي لجنة مؤلفة من ستة أطباء لإعادة تأهيل مدرسة الطب "معهد الطب العربي"، كان معظمهم قد درسوا الطب في إستانبول، وجميعهم كانوا من الفئة العمرية ذاتها، ومن كبريات عائلات دمشق[3] باستثناء الدكتور عبد الرحمن الشهبندر البالغ من

[1]– الحكيم: سورية والعهد الفيصلي، ص36–38.

[2]– بن بلواعر وبلمرابط: سوريا في العهد الفيصلي، ص52.

[3]– مبيّض: تاريخ دمشق المنسي، ص158.

العمر يومها أربعين عاماً، الذي كان قد درس الطب في الكلية الإنجيلية السورية في بيروت، والتي عرفت فيما بعد بالجامعة الأمريكية[1].

وعلى الصعيد الثقافي: فقد ظهرت في العهد الفيصلي صحف عديدة، وتمتعت هذه الصحف في ظل حكومة الركابي بحرية كبيرة، وكانت البداية بإصدار الجريدة الرسمية العاصمة التي نشأت في 17 شباط 1919م، لكي تكون الناطقة الرسمية باسم الحكومة وتنشر قوانينها، وكانت تصدر يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، وعهدت إدارتها إلى الصحفي الحجازي محب الدين الخطيب، الذي أخذ يشكل الرأي العام السوري لتهيئة الجو السياسي في البلاد العربية لحياة دستورية جديدة ومحاربة قوى الاستعمار[2]، كما صدرت في تلك المرحلة صحيفة المفيد لصاحبيها خير الدين الزركلي ويوسف حيدر، والعقاب لأسعد داغر، و فتى العرب لمعروف أرناؤوط، والمقتبس لمحمد كرد علي، ولسان العرب لإبراهيم حلمي[3].

وعلى الصعيد الاجتماعي: فقد ألغت حكومة الركابي الألقاب التي وضعتها الدولة العثمانية كلقب أفندي وبك وآغا، وقد تسابقت الحكومة والصحف السورية في إلغائها واستعيض عنها بألقاب عربية كسيد واستاذ ومعلم، كما أعلنت العفو العام عن الجرائم الواقعة قبل 30 أيلول 1918م، وأولت القضاء اهتماماً خاصاً لدوره في ضمان العدل، فأسست في بدء عهدها محكمة التمييز (محكمة النقض)، لتكون المرجع الأعلى

---

[1]- المشاقبة، ياسر علي هلال: عبد الرحمن الشهبندر (دراسة في تاريخ سورية السياسي 1918-1940م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، 2006م، ص8-9.

[2]- الرفاعي، شمس الدين: تاريخ الصحافة السورية 1918-1947، دار المعارف بمصر، القاهرة، د.ت، ج2، ص13-17.

[3]- بن بلواعر وبلمرابط: سوريا في العهد الفيصلي، ص52.

للأحكام الحقوقية والجزائية والشرعية معاً، واختارت لرئاستها شيخ القضاة مصباح محرم، ويعاونه عدة مستشارون كسليمان جوخدار مفتي دمشق السابق، والفقيه محمد الزرقا من حلب والحقوقي البارز عباس حمية من لبنان[1].

وعلى الصعيد الاقتصادي: فقد اهتمت حكومة الركابي بالزراعة والصناعة والتجارة. حيث ألفت لجنة زراعية مهمتها دراسة أحوال البلاد الزراعية ومعرفة ما يناسب كل إقليم من المزروعات، كما اهتمت بتحسين الصناعة وتجلى ذلك من خلال إنشاء معمل للسجاد في دمشق، ومعمل لغزل الصوف في حلب، فضلاً عن ذلك فقد تم استبدال الورق التركي كعملة نقدية بالجنيه المصري الورقي[2].

3- **تأليف حكومة الركابي الثانية (9آذار-5أيار1920م):** أعلن المؤتمر السوري العام استقلال سورية التام بحدودها الطبيعية، وتتويج الأمير فيصل ملكاً على البلاد في 8 آذار 1920م، وما إن تمت مبايعة فيصل ملكاً، حتى عهد إلى الفريق علي رضا الركابي تأليف وزارة جديدة، فتكونت من الوزراء التالية أسماؤهم: رضا الصلح للداخلية، وعبد الحميد القلطقجي للحربية، وفارس الخوري للمالية، وساطع الحصري للمعارف، وجلال زهدي للعدلية، ويوسف الحكيم للتجارة والزراعة، وسعيد الحسيني للخارجية، وعلاء الدين الدروبي رئيساً لمجلس الشورى. وإحسان الجابري رئيساً لأمناء الملك، وطرحت الوزارة المؤلفة أمام المؤتمر السوري بيانها، فناقشه أعضاء المؤتمر ثم منحوا الوزارة ثقتهم بالإجماع، كان لاختيار الركابي رئيساً للوزراء، دليلاً على رغبة الملك في انتهاج سياسة معتدلة، وقد سُميت هذه الوزارة في بعض الأوساط وزارة الشيوخ المعتدلين، إلا أنها لم تكن تستطيع تجاهل إرادة الشعب الممثلة في المؤتمر السوري،

[1]- الحكيم: سورية والعهد الفيصلي، ص41-42.

[2]- بن بلواعر وبلمرابط: سوريا في العهد الفيصلي، ص53.

الـذي منحهـا ثقتـه وهـي مسـؤولة أمامـه، فأبرقـت إلـى لنـدن وبـاريس راجيـة منهمـا الاعتـراف بهـا، وتـلا ذلـك مـذكرة إيضـاحية لـدول الحلفـاء تبلغهـا فيهـا قـرار المـؤتمر السـوري وإعـلان الاستقلال، ومؤكدةً عزمها على إنشاء صلات ودية معها[1].

بعـد أن حـازت الـوزارة ثقـة المـؤتمر السـوري عمـلاً بالأصـول الدسـتورية، انصـرفت إلـى أعمالهـا الإداريـة، فاستحصـلت علـى إرادة الملـك بتسـمية رشـيد طليـع، واليـاً علـى حلـب، وعينـت سـعدي المـلا متصـرفاً علـى لـواء حمـاه. واهـتم الركـابي بقضـية الخبـز، فطـاف بنفسـه علـى الأفـران واكتشـف الغـش فـي بعضـها، فأحـال المخـالفين إلـى القضـاء، واجتمـع مـع كبـار التجـار بغـرض تأسـيس معامـل النسـيج، والاسـتغناء عـن أمثالهـا الأجنبيـة، كمـا صـدر فـي نيسـان/1920م قـانون النقـد السـوري، باعتبـار عيـاره هـو الـذهب، ووحـدة القيـاس هـو الـدينار السـوري، وقيمتـه مائـة قـرش سـوري، كمـا تـم اسـتدعاء مواليـد (1900 ميلاديـة) للخدمة العسكرية، وفقاً لقانون التجنيد المؤرخ في 19 كانون الأول 1919م[2].

عنـدما وصـلت أنبـاء مبايعـة فيصـل ملكـاً علـى سـورية، اتخـذت حكومتـا فرنسـا وبريطانيـا موقفـاً مناهضـاً لقـرارات المـؤتمر السـوري، وأُبلـغ فيصـل أن الحكومـة البريطانيـة لا تسـتطيع الاعتـراف بمـا جـرى فـي دمشـق، وأن الحكومـات الحليفـة وحـدها لهـا الحـق فـي اتخـاذ القـرارات الخاصـة بسـورية والعـراق وفلسـطين، لأنهـا هـي وحـدها التـي حـررت الـبلاد مـن الاحـتلال العثمـاني[3]، فبقـي الوضـع علـى مـا هـو عليـه، حتـى اجتمـاع الحلفـاء فـي مـؤتمر سـان ريمـو فـي إيطاليـا بـين18-25 نيسـان 1920م، وتقـرر فيـه مـا يلـي: تطبيـق مبـدأ

[1]- قلعجي، قدري: الثورة العربية الكبرى 1916-1925، ط2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت-لبنان، 1994م، ص363-364.

[2]- الحكيم: سورية والعهد الفيصلي، ص151.

[3]- طلاس، مصطفى: الثورة العربية الكبرى، ط4، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1987م، ص340.

الانتداب على المناطق المحررة من الدولة العثمانية، وانتداب فرنسا على سورية ولبنان، وانتداب بريطانيا على العراق وفلسطين وشرقي الأردن، والتزام بريطانيا بتطبيق وعد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين. نقلت الحكومة الفرنسية تبليغاً عن قرارات مؤتمر سان ريمو إلى الجنرال غورو[1]، الذي بدوره بعث في 14تموز 1920م إنذاره الشهير إلى الملك فيصل، يطلب منه مايلي:

– قبول الحكومة السورية بالانتداب الفرنسي على البلاد.

– تسليم سكة الحديد رياق– حلب للجيش الفرنسي لاستعمالها في حربه مع العثمانيين.

– قبول النقد الذي أصدره بنك سورية كعملة رسمية في البلاد.

– تسريح الجيش السوري، ومعاقبة من وقفوا بوجه القوات الفرنسية.

وعند وصول هذا الإنذار اضطربت الأوساط السياسية، فدعا الملك الحكومة ورجال السياسة إلى المشورة. وكان أعضاء الوزارة ميالين إلى التفاهم مع الفرنسيين لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من دعامات الاستقلال، خوفاً من فقدان كل شيء، وأن تصبح البلاد مستعمرة فرنسية[2]، ثارت خواطر الشعب السوري، واتهم علي رضا الركابي باتباع سياسة تميل إلى القول بالانتداب بسبب رفضه لأي مواجهة عسكرية مع فرنسا خوفاً على الجيش السوري الحديث النشأة من الهلاك، فاضطر الملك فيصل إلى إعفائه من الوزارة، وإلى تعيين هاشم الأتاسي رئيس المؤتمر السوري بدلاً عنه[3]، وأمام كل هذه التطورات المتسارعة تقدمت القوات الفرنسية نحو دمشق، فسارع يوسف العظمة وزير الحربية السوري إلى مقاومة تقدم القوات الفرنسية، وبعد معركة غير متكافئة في

[1]– طلاس: الثورة العربية الكبرى، ص342–343.

[2]– العظم: مذكرات خالد العظم، ص115.

[3]– طلاس: الثورة العربية الكبرى، ص342–343.

24 تموز 1920م في ميسلون، استطاع الفرنسيون احتلال دمشق، واضطر فيصل إلى مغادرتها إلى أوروبا، وسقطت بذلك الحكومة العربية في دمشق. لكن بريطانيا قدمت عرش العراق إلى فيصل، الذي تُوج ملكاً عليه، في تشرين الأول 1921م[1].

ثانياً: دور علي الركابي السياسي والعسكري في إمارة شرقي الأردن:

بعد معركة ميسلون واحتلال فرنسا لسورية، غادر علي رضا الركابي دمشق، وتوجه إلى مكة المكرمة لزيارة الملك حسين، وبعد أن أقام هناك فترة من الزمن غادرها إلى مصر في طريقه إلى شرق الأردن مزوداً بكتاب من الملك الحسين إلى نجله الأمير عبد الله يطلب إليه أن يستفيد من خبرة الركابي الإدارية، وفي يوم 7 آذار1922م وصل الركابي إلى منطقة الشونة حيث كان الأمير يقضي فصل الشتاء[2]، وبعد أن أعطى الركابي الكتاب للأمير عبد الله، وسلمه الوزارة في شرقي الأردن، ألّف علي رضا الركابي حكومته الأولى في 20 آذار عام 1922م، والتي شارك فيها وزراء من مختلف مناطق سوريا الكبرى، انطلاقاً من نظرة الأمير عبد الله العروبية، فكانت الوزارة عربية بامتياز، فضمت: فبالإضافة إلى علي رضا الركابي رئيس المستشارين، تم تعيين علي خلقي الشرايري من الأردن[3]، وتم تعيين مظهر بك رسلان مستشار الملكية (الداخلية)، وأحمد حلمي بك مستشار المالية، وأحمد بك مريود نائب معاون العشائر، وإبراهيم بك هاشم مستشار العدلية، والشيخ سعيد الكرمي قاضي القضاة[4]، وقد شهدت تلك الحكومة حدثين مهمين، وهما:

1- مكاوي: مشروع سورية الكبرى، ص43.

2- موسى والماضي: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص177.

3- طريف، جورج: تاريخ المملكة الأردنية الهاشمية "الأردن في الفترة من عام 1920 وحتى عام 1928"، مطبعة السفير، دائرة المكتبة الوطنية، عمان-الأردن، 2018م، ص54.

4- موسى والماضي: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص178.

الأول: نهاية عصيان منطقة عجلون في عام 1922م، ورضوخ زعيم العصيان في المنطقة إلى سلطة الحكومة.

الثانية: اعتداء الوهابيين في نجد على قبائل بني صخر في 13 آب 1922م.

بدأت حكومة الركابي عملها باتخاذ قرارات كان من جملتها، تقسيم الإمارة إلى ثلاثة ألوية هي: لواء إربد، لواء السلط، ولواء الكرك، على أن يكون على كل لواء متصرف، وفي الوقت نفسه سارعت الحكومة إلى إنشاء الدوائر الأخرى في حدود الإمكانات المالية الضعيفة، وبذلك عمل الركابي على تنظيم قوانين البلاد وأنظمتها المالية وجهازها الإداري ضمن الإمكانات المتاحة معتمداً بذلك على خبرته السابقة[1].

في 24 تموز 1922م دخلت شرق الأردن تحت الانتداب البريطاني. فوجهت الحكومة البريطانية دعوة رسمية للأمير عبد الله لزيارة بريطانيا، من أجل ترتيب الأوضاع في شرق الأردن، بعد صدور صك الانتداب، فلبى الأمير الدعوة في تشرين الأول 1922م، واصطحب معه رئيس مجلس المستشارين ورئيس حكومته علي الركابي، وبدأت مفاوضات الأمير والركابي مع ضابط المخابرات البريطاني السير جلبرت كلايتون. فاقترح الركابي الاعتراف باستقلال شرق الأردن، مع استثنائه من وعد بلفور وعقد اتفاقية تنظم المصالح المشتركة بين البلدين، ومنح الأمير صفة دولية من خلال استقلالية التمثيل والسياسة الخارجية. واقترح الأمير تعيين مندوب سامي بريطاني مستقل في عمان لمنح الأردن استقلالية أكبر وضمان عدم تبعيتها إلى فلسطين بموجب

[1]– طريف: تاريخ المملكة الأردنية، مرجع سابق، ص53–54.

صك الانتداب[1]، لكن بريطانيا رفضت المقترحات الأردنية، فغادر عبد الله لندن بعد فشله في الحصول على أي وعد بالاستقلال أو عقد معاهدة بين الطرفين في 14 تشرين الثاني 1922م، وفوض الركابي في مواصلة الحوار مع الحكومة البريطانية حول المقترحات المقدمة[2].

عاد الركابي إلى عمان في 16 كانون الثاني 1923م بعد شهرين من المفاوضات، وعلى الرغم من أنه وفق في الحصول على بعض الوعود حول إمكانية عقد اتفاق يضمن لشرق الأردن حكومة نيابية مستقلة تعترف بها بريطانيا، واستثناء شرق الأردن من وعد بلفور، إلا أن بريطانيا اشترطت على الأمير بحقها في تدقيق الميزانية والإشراف عليها بعد تقديمها المساعدات المالية، إضافة إلى تعهد الأمير بصيانة حقوق الأجانب، مقابل أن تمنح بريطانيا الأمير سلطة تنفيذية يدير البلاد بموجبها تحت إشراف دولة الانتداب، وتبقى مسألة النظر في الاستقلال مرهونة بنتائج مؤتمر لوزان المزمع عقده في 24 تموز 1923م، وهو المؤتمر الذي سينهي سيادة الدولة العثمانية القانونية من خلال تأسيس الجمهورية التركية[3]، بعد عودة الركابي إلى عمان، عرض مقترحات كلايتون على الأمير عبد الله، حمّل الأمير مسؤولية الفشل في تحقيق إنجازات مهمة للركابي لأن المقترحات لم تكن مرضية له، فعزله من رئاسة الحكومة، وكلف مظهر أرسلان بتأليف حكومة جديدة طالبت بتعديل مقترحات كلايتون، بمنح الأمير الحق المطلق في إصدار القوانين والأنظمة، والتمثيل الخارجي

[1]- العمري، عمر صالح: المعاهدة الأردنية-البريطانية 1928م دراسة تحليلية في الواقع والطموحات، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، العدد (22)، السعودية، 1441هـ، ص416-417.

[2]- العمري: المعاهدة الأردنية-البريطانية، ص417.

[3]- موسى والماضي: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص193-197.

وإدخال شرق الأردن في عضواً عصبة الأمم، وأن أي معاهدة أو اتفاق مستقبلي لا ينقص من استقلال الإمارة[1].

ألّف الركابي وزارته الثانية في شرق الأردن في 13 أيار1924م وكانت غايته الأساسية هذه المرة تنظيم الإدارة، وإرسائها على قواعد ثابتة وطيدة، بعدما أصابها الوهن والاضطراب في عهد مظهر رسلان، ومن أهم أعمال وانجازات حكومة الركابي الثانية في رئاسة الحكومة:

- أصدر تعليمات بشأن تنظيم الأعمال في الدوائر ومنع الزيارات أثناء الدوام الرسمي، وأمر بوجوب انتخاب الموظفين الأكفاء للعمل في جهاز الحكومة.
- أصدر بلاغاً إلى حاكم العاصمة يطلب إليه أن ينبه الأهالي إلى تشجير أراضيهم، وأمر بلزوم تشغيل السجناء في تمهيد الطرق.
- عيّن أوقات العمل الرسمي من الساعة الثامنة صباحاً وحتى الواحدة بعد الظهر، ثم عيّن العقاب الذي يمكن أن يقع على الموظف الذي لا يلتزم بأوقات الدوام.
- أصدر قانون تسجيل النفوس بغرض منح تذاكر الهوية الشخصية وجوازات السفر وتأمين سير الانتخابات.
- نشر في عهده قانون البلديات وبدأ تنظيم الخرائط للمباني التي يراد انشاؤها في عمان[2].

وعلى الرغم مما قدمه الركابي في إمارة شرق الأردن، لكنه ما لبث أن اصطدم بالأمير والبريطانيين والأهالي بسبب اصلاحاته الداخلية من جهة، ورفضه للمماطلة من

[1]– العمري: المعاهدة الأردنية–البريطانية، ص418.

[2]– موسى والماضي: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ص259–260.

قبل بريطانيا في إبرام اتفاقية أردنية- بريطانية وتأجيلها إلى موعد لاحق، مما دفعه لتقديم استقالته من منصبه، وعندما نشبت الثورة السورية الكبرى ضد الفرنسيين سنة 1925م كان للركابي فيها مواقف مشرفة في الدعوة السرية للثورة والعمل على إذكاء نارها وإغاثة اللاجئين، وعند انتهاء الثورة استقال من منصب رئاسة حكومة شرق الأردن وأقام في حيفا والقدس، وعاش عيشة الكفاف والضيق إلى أن سُمح له بالعودة إلى وطنه دمشق، ولما توفي الملك فيصل، اعتزل الركابي باشا الحياة السياسية وأقام في منزله في ظاهر دمشق بعد أن أصيب في أواخر حياته بالشلل النصفي، وانقطع عن الناس إلى أن وافاه أجله في 25 أيار 1942م[1].

الخاتمة: توصل البحث إلى عدد من إليه البحث من نتائج، أهمها:

على الرغم من المزايا العالية التي توفرت في شخصية الفريق علي رضا الركابي، من علم وخبرة ونزاهة وصدق في القول وإخلاص في العمل فقد نقم عليه نصف زعماء الحركة الوطنية بسبب الحزبية التي ألفوها منذ جلاء الترك عن البلاد.

كما أثبت الركابي جدارته في رئاسة الحكومة سواء في سوريا أو شرق الأردن، حيث حماها من التدخلات الشخصية ومن المحسوبية والرشوة والانحراف، وبذل جهداً جباراً في أن يجعل جهاز الدولة في خدمة البلد والمواطنين، ومن سوء الحظ أنه في محاولته المخلصة تلك أغضب جميع الفرقاء المعنيين وهم الأمير عبد الله والانكليز بالدرجة الأولى والأهالي بالدرجة الثانية، فما كان منه إلا تقديم الاستقالة واعتزال العمل السياسي نتيجة الإحباط وخاصة بعد وفاة الملك فيصل، وللأسف لم يدرك الناس سواء في سورية أو الأردن فضل مزاياه الإدارية ولم يقدروا نزاهته وصرامته ووطنيته حق قدرها إلا بعد وقت طويل.

[1]- الكيلاني: عبقريات شامية في الحكم والسياسة والإدارة، ص43.

انكشف الوجه الحقيقي للدول الاستعمارية يوم ميسلون ودخول القوات الفرنسية إلى دمشق، حيث أحس العرب بهذا اليوم بخيبة الأمل بانقراض أول دولة عربية حديثة تأسست في الشام عقب الحرب العالمية الأولى، وقد كان لهذه التجربة القصيرة ما بين المرحلتين بعض الإيجابيات التي تمثلت بإنشاء الحكم العربي، والحكومات الدستورية للمرة الأولى في تاريخ المنطقة، بعد أربعمائة عام من الاحتلال العثماني، كما كان لها سلبيات تمثلت باستغلال الإنكليز والفرنسيين للعرب الطامحين إلى التحرر من العثمانيين أولاً، وضحالة العقل العربي أمام العقل الأوربي في عالم السياسة ومتاهاتها بعد تغييبه وتهميشه مئات السنين من قبل العثمانيين.

Sources and references:

1- Ben Belouaer, Zuina and Belmrabet, Somaya, Syria during the Faisalid era 1918-1920 AD, a thesis submitted for a master's degree in contemporary history, Department of History, Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Mohammed Boudiaf-M'Sila, Algeria, 2016-2017 AD.

2- Al-Hakim, Youssef, Syria and the Al-Faisaly Covenant, 2nd edition, Dar Al-Nahar Publishing, Beirut, 1986 AD.

3- Haider, Rustom, Memoirs of Rustom Haider, edited by: Najda Fathi Safwa, 1st edition, Arab House of Encyclopedias, Beirut-Lebanon, 1988 AD.

4- Al-Rifai, Shams al-Din, History of the Syrian Press 1918-1947, Dar al-Maaref in Egypt, Cairo, D. T.

5- Sultan, Ali, The History of Syria 1918-1920, The Rule of Faisal Bin Al-Hussein, 1st edition, Dar Talas for Studies, Translation and Publishing, Damascus, 1987 AD.

6- Al-Sawaf, Muhammad Sharif Adnan, Encyclopedia of Damascene Families (History, Lineages, Notables), 2nd edition, Bayt Al-Hikma for Printing, Publishing and Distribution, Damascus, 2010, Part 2.

7- Tarif, George, History of the Hashemite Kingdom of Jordan "Jordan from 1920 to 1928", Al-Safir Press, National Library Department, Amman-Jordan, 2018 AD.

8- Talas, Mustafa, The Great Arab Revolt, 4th edition, Talas House for Studies, Translation and Publishing, Damascus, 1987 AD.

9- Allawi, Ali Abdul Amir, Faisal I, King of Iraq, translated by: Simon Akram Al-Abbas and Ghaith Youssef Mahfouz, reviewed by: Miqdam Abdul Hassan Al-Fayad, 1st edition, Al-Rafidain Center for Dialogue, Beirut/Al-Najaf Al-Ashraf, 2022 AD.

10- Ali, Muhammad Kurd, Plans of the Levant, 3rd edition, Al-Nouri Library, Damascus, 1983, vol. 3.

11- Al-Omari, Subhi, Maysaloun, The End of an Era, 1st edition, Riad Al-Rayes Books and Publishing, London-Cyprus, 1991 AD.

12- Al-Omari, Omar Saleh, The Jordanian-British Treaty of 1928 AD, an analytical study of reality and aspirations, Taibah University Journal of Arts and Human Sciences, Issue (22), Saudi Arabia, 1441 AH.

13- Qalaji, Qadri, The Great Arab Revolt 1916-1925, 2nd edition, Publications Company for Distribution and Publishing, Beirut-Lebanon, 1994 AD.

14- Al-Kilani, Ibrahim, Levantine Geniuses in Governance, Politics, and Administration (Asaad Pasha Al-Azm, Ahmed Izzat Pasha Al-Abed, Ali Reda Pasha Al-Rikabi), 1st edition, Arab Publishing Office, Damascus, 1946.

15- Moubayed, Sami Marwan, The Forgotten History of Damascus, Four Stories 1916-1936, 1st edition, Riad Al-Rayes Books and Publishing, Beirut, 2016 AD.

16- Al-Mashaqba, Yasser Ali Hilal, Abd al-Rahman al-Shahbandar (a study in the political history of Syria 1918-1940 AD), a thesis submitted to obtain a master's degree in modern and contemporary history, Department of History, Faculty of Arts, Yarmouk University, Jordan, 2006 AD.

17- Makkawi, Naglaa Saeed, The Greater Syria Project, "A Study of One of the Arab Unity Projects in the First Half of the Twentieth Century," 1st edition, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 2010.

18- Musa, Suleiman and Al-Madi, Munib, The History of Jordan in the Twentieth Century 1900-1959, Al-Muhtasib Library, Amman, 1988 AD.

19- Wasila, Zoeja, The Development of the Syrian National Movement under the French Mandate (1919-1947 AD), a dissertation submitted for

the degree of PhD in Contemporary History, Faculty of Humanities, Social Sciences and Islamic Sciences, Colonel Ahmed Draya University–Adrar, Algeria, 2021/2022 AD.